تهذيب
الشفا
بتعريف حقوق المصطفى

للقاضي عياض بن موسى اليحصبي الأندلسي

قام بتهذيبه وترتيبه

جمال الدين السيروان — نور الدين قره علي

الجـــزء الثالـــث

٣

"هدية شركة النهضة الطبية"

لأصحابها

عبد الله يحيى الجفري وولديه عبد العزيز ويحيى



مقدمـــــة

أخي القارىء الحبيب:

إنّها لمناسبة كريمة، وعلاقة عطرة. . نلتقيك بها فترة إثر فترة. والصلة بيننا بضعة من شمائل من اصطفته العناية الالهية ليكون المنقذ الأعـظم، والقدوة الصالحة لبني الانسان جميعاً، إنه رسول الرحمة، حبيب الرحمن سيدنا محمد ﴿ﷺ﴾.

فما أجلّه من لقاء! وما أعظمه من ارتباط. .

إنه لقاء القداسة الراسخة مع الأيام، وارتباط الطهارة التى تنتزع العيوب والآثام. . نعم إنها الشمائل التي تحكي قصة الانسان الخليفة لله تعالى، القائم بحدوده، الملتزم لاوامره، والباذل الجهد المخلص في سبيل انتشال البشرية من ضيعة الهوى، وركس الجاهلية. . الآخذ بيد الانسان المعذب إلى مرتكز الاشراق، ومنبع الهدى. .

نحن فى هذا الجزء المثمر مع معجزة خلدتها آيات الكتاب المجيد في قوله تعالى في صدر سورة الاسراء:

[سُبحـانَ الَّـذي أَسْرَىَ بعَبْـدِهِ ليـلاً مِن المَسْجِدِ الحَرامِ إلى المَسْجِدِ الأقْصىٰ الَّذي باركْنا حوْلَه لِنُرِيَهُ مِن آياتِنَا إنَّهُ هو السَّميعُ البَصِيرُ].

حقاً إنها معجزة باهرة، وآية عظيمة تدلُّ على فضل هذا الرسول العظيم صلوات الله وسلامه عليه . . إنها تبينّ مدى العون الرباني المتـدفق على النبي الكريم ﴿ﷺ﴾ . . فحيث أعرض المعرضون . . ونـأى الأهل والأقربون . . وعاندت القبائل كلها نَشْرَ هذا الصوتِ الحقِّ امتـدت رحمـة المـولى سبحـانـه لتلُفَّ الحبيبَ الكريم بعنايتها ولتسكب عليه من فيضهـا، ولتستلَّه من هذه الأرض الملطَّخة بآثام المشركين الى تلك السماء المزدانة بنقاء الملائكة العابدين . . ولتكون هذه المعجـزة مَبْرزَ فريضـة الصـلاة . . التي شاء المـولى سبحانه أن يفـرضها من فوق سبع سماوات للتدليل على قدسيتها وجلال شأنها ولبيان أنها الجسر الواصل بين العبد وربه جلَّ وعز.

كما أنـك أيها القارىء الكريم ستلتقي في فصول هذا الجزء مع الأخبار الصحيحة الدالة على تفضيل حبيبك الأعظم ﴿ﷺ﴾ في يوم الحشر يوم القيامة . . وسترى أنه الشفيع الذي اخْتُزِنتْ له هذه المرتبة دون غيره من الأنبياء أجمعين.

ثم تخوض في غمار المحبة وأنس المودة، وصفاء العلاقة وتطلع على ما منّ به المولى على نبيه بمرتبة الخلة والمحبة.

بعدئذٍ تنعم بالتعرف على أسمائه ﴿ﷺ﴾..

أخي القارىء.. بادر في قراءة هذا الجزء بعناية ودقة وتذوّقٍ وليكن ذلك في مجلسٍ أسروي كريم تنثر فيه على أفراد أسرتك هدايا دونها هدايا الدنيا بأسرها، إنها هدايا معرفة رحمة العالمين والاطلاع على آثار سيد المرسلين.. أجمل بها من هدايا، وأكرم به من اطلاع نسأل الله تعالى مزيد الحب وصافي الود لحبيبه الكريم ﴿ﷺ﴾ كما نسأله أن يشملنا بالعناية من البداية الى النهاية انه سميع مجيب.

المحققـــــان



البـــاب الثـــالث

فيما ورَدَ من صحيح الأخبارِ ومشْهورِها بِعظِيمِ قَدرِهِ عِندَ رَبِّه ومَنزِلتِهِ وما خَصَّه به في الدَّارين من كرامتِه صلَّى الله عليه وسلَّم.

لا خلافَ أنَّه أكرمُ البشـر(١)، وسيِّدُ ولدِ آدمَ(٢)، وأفضَلُ النَّاسِ مَنزلةً عِند الله وأعلاهُم دَرجةً، وأقربُهم زُلْفى..

واعْلَم أنَّ الأحاديثَ الوارِدةَ في ذلك كثيرةٌ جِدّاً، وقد اقْتصرنا منها على صحيحها، ومُنتشـرِها، وحَصَرنا معاني ما ورد منها في هذه الفصول.

---

(١) لما في التِّرمذيِّ والدارِميّ.

(٢) لحديث التِّرمـــذيِّ.

الفصل الأول

مكانتـهُ صلَّى الله عليه وســـلَّم

فيما وردَ من ذكـرِ مكـانتِـهِ عندَ ربِّهِ عزَّ وجلَّ، والاصطِفاء ورفْعَةِ
ذْكر، والتَّفضيلِ ، وسيادةِ ولدِ آدمَ وما خصَّهُ به في الدُّنيا من مزايا
ـرتُّبِ.

عن(١) ابن عبَّاسٍ رضىَ الله عنْهما قال: قال رسولُ الله ﴿ﷺ﴾
نَّ الله تعالى قَسَمَ الْخلقَ قِسمين، فجعلني من خيرهم قِسمًا، فذلك
لُه تعالى: «أصحابُ اليمِينِ، وأصحابُ الشِّمال»، فأنا من أصحابِ
يمين، وأنا خيرُ أصحاب اليمين.

أنا خـ
أصحابـ
اليمين

رواه الطّبرانيُّ والبيهقيُّ في الدلائل.

ثُمَّ جعـل القِسمـين أَثـلاثاً، فَجعلني في خيرها ثُلثاً، وذلك قولُه
الى: «فأصحابُ المَيْمَنَةِ وأصْحَابُ المَشْأمةِ، والسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ»،
أنـا من السَّـابِقـين، وأنـا خيُر السَّابقين، ثم جعل الأثلاث قبائل
جعلني منْ خيرهـا قبيلةً، وذلِـك قولُـه تعـالى: «وجَعَلنَاكُم شُعُوباً
قَبائِلَ(١)» الآيَة، فأنا أتقى ولدِ آدمَ وأكرمُهم على الله ولا فَخْرَ.. ثُمَّ
جعَلَ القبائل بُيُوتاً فجعلني من خيرها بَيتاً فذلك قُوله تعالى: «إنَّما يُريدُ
الله ليُذهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أهلَ البيتِ»(٢) الآية.

وعن واثلة بن الأسقع(٣) قال: قال رسُول الله ﴿ﷺ﴾ «إنَّ الله
صطفى من ولدِ إبراهيم إسماعيلَ، واصطفى من ولد اسماعيلَ بني
نانـة، واصـطفى من بني كِنانة قريشاً، واصطفى من قريشٍ بني
اشمٍ، واصطفاني من بني هاشمٍ».

ومن حديث(٤) أنس رضي الله عنه: «أنا أكرمُ ولدِ آدمَ على ربِّي ولا
خرَ».

أنـا
ولـد
وأكـ
على

---

(١) سورةُ الحُجُرات «١٣».

(٢) «ويطهِّركُمْ تَطهِيراً» سورة الأحزاب (٣٣).

(٣) رواه مسلمٌ وقد تقدَّمَ.

(٤) الَّذي رواه الترمذيُّ وأوَّلُه: أنا أوَّل النَّاسِ خُروجاً إذا بُعثوا وأنا قائِدُهُم إذا وفدوا وأنا خطيبُهم إذا أنْصتُوا وأنا شفيعُهم إذا حُبسوا وأنا مُبشِّرهم إذا أيِسوا.. الكرامةُ والمفاتيحُ بيدي.. ولواءُ الحمد يومئذٍ بيدي.. وأنا أكرمُ.. الخ

أنا أكر الأولين والآخر

وفي حديث (١) ابنِ عبّاسٍ: «أنا أكْرم الأوَّلين والآخرِين ولا رَ».

وعن (٢) عائِشـةَ رضى الله عَنها عنهُ ﴿ﷺ﴾ «أتاني جبريل عليه لامُ فقال: قلَّبتُ مشارق الأرض ومغاربَها فلم أرَ رجُلاً أفضلَ من دٍ ولم أر بني أبٍ أفضلَ من بني هاشمٍ».

وعن (٣) أنسٍ رضى الله عنهُ «أنَّ النبيَّ ﴿ﷺ﴾ أُتي بالبُراقِ ليلةَ ريَ بِه فاستصعب عليه، فقـال له جبريلَ: بِمُحمَّـدٍ (٤) تفعـلُ !!! فما ركَبك أحدٌ أكْرمُ على الله مِنه.. فارفضَّ عرقاً».

وروى عنه ﴿ﷺ﴾ أبو ذَرٍّ. وابنُ عمرَ. وابنُ عبَّاسٍ. وأبو هريرة.

أعطِيت خمساً لم يُعْطَ نبيٌّ قـ

ابرُ بنُ عبدالله أنَّه قال: «أُعْطِيتُ خَمساً ـ وفي بعضها سِتّـاً ـ (٥) لم طهُنَّ نبيٌّ قَبلي. (٦)

صِرت بالرُّعبِ مِسِيرة شَهْرٍ.

رواه التِّرمذيُّ والدارميُّ.. وله أول.

رواه البيهقيُّ وأبو نُعيم والطَّبرانيّ.

رواه الشَّيخان.

وفي نُسخةٍ: أبِمُحمَّد.

رواه مسلمٌ عن أبي هريرة.

وفي رواية جابرٍ: لم يُعطهُنَّ أحُد من الأنبياء قبلي.

وجُعِلَت لِي الأرضُ مَسجِداً وطهُوراً فأيُّما رجُلٍ مِن أُمَّتي أدركَتهُ لصَّلاة فليُصَلِّ.

وأُحِلَّت لي الغنائمُ ولم تحلَّ لنبي قبْلي.

وبعثتُ إلى النَّاسِ كافَّةً ـ وأُعطيتُ الشَّفاعة.

وعن عُقبَةَ بنِ عامِرٍ: أنَّه قال: قال(١) ﴿ﷺ﴾ «إنِّي فَرَطٌ(٢) لكُم، أنـا شهيدٌ عليكم، وإنِّي لأنظُرُ إلى حوضي الآن، وإنِّي قد أُعْطِيتُ مفـاتيح خزائِن الأرضِ، وإنّي والله ما أخـافُ عليكم أن تُشرِكُـوا بعدي. ولكنِّي أخافُ عليكُم أنْ تَنافَسُوا فيها».

عن عبدالله بن عمرو رضى الله عنهما أنَّ رسُول الله ﴿ﷺ﴾ قال: (٣) أَنَا مُحمدٌ النَّبيُّ الأمِيُّ، لا نَبيَّ بَعدِي، أُوتيتُ جوامعَ الكَلِمِ وخواتمهُ وعُلِّمتُ خَزَنَةَ النَّارِ وحَملَةَ العَرشِ».

وعن(٤) ابن عمرَ رضى الله عنهما «بُعثتُ بين يدي السَّاعةِ».

وعن أبي هُريرة عنهُ ﴿ﷺ﴾(٥) «ما من نبيٍّ من الأنبياء إلَّا وقَدْ

---

(١) رواه الشَّيخان.

(٢) الفرط: الَّذي يتقَّدمُ القومَ للماء.

(٣) رواه أحمدُ بسندٍ حسن.

(٤) رواه أحمد بسندٍ حسن. وللشَّيخين والتِّرمذي عن أنسٍ: بُعِثتُ أنا والسَّاعة كهاتين.

(٥) رواه الشَّيخان.

وإنما ك
الَّذي أو
وحَياً

طِيَ من الآيات ما مثلُه آمن عليهِ البَشَر، وإنَّما كانَ الَّذي أُوتيتُ وحْياً
حى الله إلَيَّ، فأرجُو أن أكُون أكثرهُم تابعاً يومَ القِيامةِ».
معنى هذا عند المحقِّقين: بقاء مُعجزتِه ما بَقِيت الدُّنْيا.
وسائر مُعجزات الأنبياء ذهبت للحين، ولم يشاهِدها إلَّا الحاضُر
. وَمُعْجِزةَ القرآنِ يقفُ عليها قرنٌ بعد قرنٍ عِياناً لا خبراً إلى يوم
يامةِ.

وفيه كلامٌ يطولُ، هذا نُخبَتُه، وقد بسطنا القول فيه وفيما ذُكِرَ فيهِ
رى هذا آخرَ باب المعجزاتِ.

وعن(١) عليٍّ رضى الله عنهُ: كلُّ نبيٍّ أُعطِيَ سبعَةَ نُجباء، وُزراء
رُفقاء، مِن أُمَّتِهِ، وأُعطِيَ نبيُّكم ﴿ﷺ﴾ أرْبعة عَشر نجيباً، منهم
بكرٍ وعمرُ وابنُ مسعودٍ وعمَّار.

وقال ﴿ﷺ﴾(٢) «إنَّ الله قد حَبسَ عن مكَّة الفيلَ، وسلَّط عليها
ولهُ والمؤمنين، وإنها لا تَحِلُّ لأحدٍ بَعدي. وإنَّما أُحِلَّت لي ساعةً من
رٍ» (٣).

) رواه ابنُ ماجه والتِّرمذيُّ وحسَّنهُ.

) كما في الصحيحين.

) وإنما أحلت لي ساعة من نهار: أى إنما أعلمني الله بحلها لي وكان حل القتال لى فيها ساعة
، نهار يوم الفتح وكان ذلك من الصبح وجعله ساعة تقليلاً لزمنه لانه ساعة حقيقة. ويجمع
قهاء انه لو تغلب فيها كفار أوبغاة وجب قتالهم.

وعن(١) العِرباضِ بن سارِيةَ رضي الله عنهُ: سمعتُ رسولَ الله ﴿ﷺ﴾ يقول: إِني عبدالله، وخاتمُ النّبيِّين، وإنَّ آدمَ لَمنجَدِلٌ(٢) في طينته، وعِدةُ أَبي إبراهيم وبشارةُ عيسى بن مريم».

بشارة عيسى مريم

وعن(٣) خالد بنِ مَعْدَان: أَنَّ نفراً من أَصحابِ رسولِ الله ﴿ﷺ﴾ قالوا: يا رسول الله أَخبِرنا عن نَفسك ـ وقد رُوي نحوُه عن أبي ذرٍّ، وشدَّاد بنِ أَوس، وأنسِ بنِ مالكٍ رضي الله عنهُم.

فقال: «نعمْ . . أنا دعْوةُ أَبي إبراهيم ـ يعني قوله: «رَبَّنا وابعثْ فيهِمْ رسُولاً مِنْهُم(٤)».

دعوة ابرا

وبشَّر بي عيسى. ورأت أُمِّي حين حَملتْ بي أَنَّه خرج منها نورٌ أَضاءتْهُ قُصورُ بُصرى من أَرضِ الشَّام. واستُرضِعتُ في بني سعدِ ابنِ بكرٍ، فبينا أَنا معَ أخ لي خلفَ بُيوتِنا نرْعَى بَهْماً لنا، إذ جاءنى رجُلان عليهما ثيابٌ بيضٌ ـ وفى حديث آخر ثلاثةُ رجالٍ ـ بِطستٍ من ذهبٍ

غسا الملائ قلبه

(١) رواه أحمد والبيهقيُّ والحاكم وقال إنه صحيح الاسناد.

(٢) لمنجدل: أي مختلط في تربته أو ساقط فيها.

(٣) هذا الحديث رُوي من طرقٍ. رواه ابن اسحق مرسلاً، والدارميُّ وأحمدُ موصولاً عن خالدِ بن عبدالرَّحمن السُّلميِّ عن عُتبةَ بن عبد السُّلَمي.

(٤) سُورة البَقرةِ «١٢٩».

ة(١) ثلجاً، فأخذاني فَشقَّا بَطني ـ قال في غير هذا الحديث: من
ـري إلى مَراقِّ(٢) بطني ـ ثُمَّ استخْـرجـا منـهُ قلبي، فشقَّـاهُ،
تخرجا منه عَلقةً سوداء فطرحاها، ثُمَّ غسلا قلبي وبطني بذلك
ج حتّى أنقياهُ قال في حديث آخر: ثُمَّ تناولَ أحدُهُما شيئاً، فإذا
تم في يده من نورٍ يحارُ النَّاظِرُ دونَهُ، فخَتَم بهِ قلبي فامتلأ إيماناً
كمةً، ثُمَّ أعادهُ مكانه، وأَمرَّ الآخرُ يدهُ على مفرِقِ صَدري
أم».

وفي روايةٍ(٣): أَنَّ جبريل قال: «قلبٌ وكيعٌ ـ أي شديد ـ فيه
ـانِ تُبْصرانِ، وأُذنـانِ سميعتـانِ، ثُمَّ قال أحدهما لصاحبه، زِنه
ـرةٍ مِن أُمَّتِـه، فوزننى بهم فرجحتهم ثم قال زنـه بمئة من أمته
ـنى بهم فوزَنتهُم. ثُم قال: زنة بألفٍ مِن أُمَّتِهِ، فوزنني بهم فوزنتهُم
قال: دَعْه عنكَ، فلوْ وزنْته بأمَّتِهِ لوزنَها».

لو وزَنْته
بأمَّتِه لوزَ

قال في الحديث الآخر: «ثُمَّ ضَمُّوني إلى صُدورِهم، وقَبَّلوا رأسي،

مملوَّة: يجوز بالهمزة أى مملوءة كما يجوز إبدال الهمزة واواً وادغامها مع الواو التي قبلها فتصبح
مملوَّة

) بفتح الميم والراء المخففَةِ وتشديد القاف وهو ما رقَّ من البطن ولا واحد لهُ من لفظه.

) للدارِميِّ وأبي نعيم في الدلائل.

وما بين عينـيَّ ثُمَّ قالوا: يا حبيبَ الله لم تُرعْ، إنَّك لو تَدري ما يُرادُ بك من الخَير لقرَّتْ عَيْناك.

وفي بقيَّة هذا الحـديثِ من قولهم: «ما أَكرمَكَ على الله، إنَّ الله معك وملائكتُه».

قال(١) في حديث(٢) أبي ذر:

«فما هو إلاَّ أنْ وَلَّيا عَنِّي، فكأنَّما أرى الأمرَ مُعاينةً».



(١) النبي ﷺ.

(٢) رواه الدارميُّ.

الفصل الثانى

كرامـــةُ الإســـــراء

في تَفضيلهِ بما تضمَّنَتْه كرامةُ الإسراء من اُلمناجَاةِ والرُّؤيَةِ، وإمامَةِ الأنْبِياء، والعُروج به إلى سِدرةِ اُلمنْتهىٰ، وما رَأى من آيات ربِّه الكُبرى.

ومِن خَصـائِصِـهِ «ﷺ» قِصَّـةُ الإسراء ، وما انْطوت عليهِ من درجاتِ الرِّفعةِ مما نَبَّه عليه الكِتابُ العزيزُ، وشرحتهُ صحاحُ الأخبار.

قال الله تعـالى: «سُبْحـانَ الَّـذي أسْرىٰ بِعبدِهِ لَيلًا من اَلمسْجِدِ الَحرامِ»(١) الآية.

---

(١) «الى المسجِدِ الأقصى الذي باركنا حوله لنُريه من آياتنا إنَّه هُو السَّميعُ البَصيُر». سورة الإسراء (١).

وقال تعالى «والنَّجم إذا هَوَى(١)» إلى قوله لَقَد رأى مِن آياتِ ربِّهِ الكُبْرىٰ(٢)».

فلا خلافَ بين المسلمين في صِحَّة الإِسراء به ﴿ﷺ﴾ إذ هو نصُّ القرآن، وجاءت بتفصيله وشرحِ عجائبه وخَواصِّ نبيِّنا مُحمد ﴿ﷺ﴾ فيه أحاديثُ كثيرةٌ مُنتشِرةٌ. . رأينا أن نُقدِّم أكملها ونشير إلى زيادةٍ من غيره يجب ذِكْرُها.

عن أَنسِ بن مالكٍ رضي الله عنه أَنَّ رسُولَ الله ﴿ﷺ﴾ قال(٣): «أُتِيْتُ بالبُراق وهو دابَّةٌ أَبيضُ طويلٌ فوق الحِمارِ ودُون البَغْلِ، يضَعُ حافِرهُ عندَ مُنتهى طَرْفِهِ قال: «فركبتُهُ حتَّى أَتيتُ بيتَ المَقدِسِ فربطتُه بالحَلْقَةِ الَّتي يربِطُ بها الأنبياء، ثُمَّ دخلتُ المسجِدَ فصلَّيتُ فيه رَكعتَين، ثُمَّ خرجتُ فجاءني جبريلُ بإِناء مِن خَمرٍ وإِناء من لبنٍ، فاخْترتُ اللَّبن».

فقال جبريل: «اخترت الفِطرة، ثُمَّ عُرِجَ بنا إلى السَّماء، فاستفتح جِبريلُ فقيل مَن أَنت؟ قال: جبريلُ. قيل: ومن معك؟ قال محمد.

---

(١) سُورةُ النَّجم (١)

(٢) سُورةُ النَّجم. (١٧)

(٣) رواه مسلم.

قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بُعِثَ إليه فَفُتِحَ لنا فإذا أنا بآدم ﴿ﷺ﴾ فرحَّب بي ودعا لي بخيرٍ ثُمَّ عُرِجَ بنا إلى السَّماء الثَّانيةِ، فاستفتح جبريلُ فقيل: من أنتَ؟ قال: جبريلُ قيل: ومن مَعك؟ قال محمدٌ. قيل: وقد بُعثَ إليه؟ قال: بُعث إليه ففُتح لنا فإذا أنا بابني الخَالةِ عيسى بن مريم ويحي بن زكريا، صلَّى الله عليهما. فَرَحَّبا بي ودَعوا لي بِخيرٍ. ثُمَّ عُرِج بنا إلى النَّساء الثَّالثةِ فذكَرَ مِثل الأوَّل ففُتح لنا فإذا أنا بيوسُف صلَّى الله عليه وسلم وإذا هو قد أُعطِي شَطرَ الُحسنِ فرحَّب بي ودعا لي بِخـيرٍ. ثُمَّ عُرِج بنا إلى السَّماء الرَّابعةِ ـ وذكر مثله ـ فإذا أنا بإدريس فرحَّب بي ودعا لي بخيرٍ قال الله تعالى:

«ورَفعناهُ مَكاناً عَلِيّاً(١)» ثُمَّ عُرِج بنا إلى السَّماء الخامِسة ـ فذكر مثله ـ فإذا أنـا بهارون فرحَّب بي ودعـا لي بِخـيرٍ، ثُمَّ عُرِج بنا إلى السَّماء السَّادسة ـ فذكر مثله ـ فإذا أنا بموسى فرحَّب بي ودَعا لي بخيرٍ، ثُمَّ عُرِج بنا إلى السَّماء السابعَة ـ فذكر مثله ـ فإذا أنا بإبراهيم مُسنِداً ظهره إلى البيت المعمُـور، وإذا هو يدَخُلُه كلَّ يومٍ سبعون أُلف ملك لا يَعُـودُون إليه. ثُمَّ ذُهِبَ بي إلى سِدرةِ الُمنتهى، وإذا ررقُهـا كآذانِ الفِيلةِ (٢).

(١) سورة مريم (٥٦).

(٢) الفِيلة: بكسر الفاء وفتح المثناة التحتية جمع فيل.

وإذا ثمرُها كالقِلالِ (١). .

قال: فلمَّا غَشِيها مِن أمر الله ما غَشِي تغيَّرت فما أحدٌ من خَلقِ الله يستطيعُ أن ينعِتها من حُسنِها فأوحى الله إليّ ما أوحى، ففَرضَ عليَّ خمسين صلاة في كلِّ يومٍ وليلةٍ فنزلتُ إلى موسى فقال: ما فَرضَ ربُّك على أمَّتِك؟ قُلتُ خمسين صلاةً قال: ارجع إلى ربك فاسأل التخفيف فإنَّ أُمَّتك لا يطيقون ذلك، فإني قد بلوتُ بني إسرائيل وخبرتُهم. . قال: فرجعت إلى ربي فقلت: يا ربِّ خَفِّف عن أُمَّتي فحطَّ عني خمساً. فرجعتُ إلى موسى فقُلتُ: حَطَّ عنّي خمساً، قال: إنَّ أُمتك لا يُطِيقُون ذَلِك فارجع إلى ربّك فاسأله التخفيف. . قال: فَلمْ أَزلْ أرجِع بينَ ربِّي تعالى وبين مُوسى حتَّى قال يا مُحمَّد إنَّهُنَّ خمسُ صَلواتٍ كلَّ يومٍ وليلةٍ، لكلِّ صلاةٍ عشرةٌ، فتلك خمسون صلاةً، ومن همَّ بِحسنةٍ فلمْ يعملها كُتبت لهُ حَسنةً، فإن عملها كُتبت لهُ عشراً. ومن همَّ بسيِّئةٍ فلم يعملها لم تُكتب شيئا، فإن عمِلها كُتبتْ سيئةً واحدةً. . قال: فنزلتُ حتَّى انتهيتُ إلى موسى فأخبرتُه فقال: ارجِعْ إلى ربِّك فاسأله التخفيفَ، فقال رسولُ الله ﴿ﷺ﴾ فقلتُ: قد رجعت إلى ربِّي حتَّى استحيت منه.

---

(١) القِلال: جمع قلة وهى الجرَّة وشبهها بها لمدِّ ظلها ولطف ورقها وطِيب ثمرِها.

نال القاضي: جَوَّد ثابتٌ رحمه الله هذا الحديثَ عَن أَنسٍ ما شاء ،
بأتِ أحدٌ عنه بأصوبَ من هذا . . وقد خلَّط فيه غيُره عن أنسٍ
طاً كثيراً لاسيَّما من روايةَ شـريك بن أبي نَـمِر.

لم يكن شَقُّ الصدرحين الإسراء

فقد ذكر في أوله مجيء المَلَكِ له ، وشقَّ صَدرِهِ وغسله بماء زمزم ،
لذا إنَّما كان وهو صَبيٌّ وقبلَ الوَحي ، وقد قال شـريك في حديثه
ك قبلَ أن يُوحَى إليه وذكَر قِصَّة الإسراء، ولا خلاف أنَّها كانت
. الوحي .

وقد قال غيُر واحدٍ أنَّها كانت قبلَ الهجرةِ بسنةٍ . . وقيل: قبل هذا .

وقد روى ثابتٌ عن أنسٍ من روايةِ حـمَّاد بن سلمةَ أيضاً(١) مجيء
ريل إلى النَّبيِّ ﴿ﷺ﴾ وهو يلعب مع الغلمان عند ظِئره(٢) وشقه
ه تلك القصة مفردة من حديث الإسراء كما رواه النَّاسُ ، فجوَّد في
صتين ، وفي أنَّ الإسراء إلى بيت المقدس وإلى سِدرةِ المُنتهى كان
بةً واحدة ، وأنَّه وصلَ إلى بيتِ المقدِس ، ثُمَّ عَرجَ من هناك فأزاح
، إشكال أو همه غيره .

وقد روى يونسُ عن ابن شِهابٍ عن أَنسٍ قال : كان أَبو ذرٍّ يحدِّثُ

) رواه البخاري .

) ظئره : مرضعته حليمة .

أَنَّ رسولَ الله ﴿ﷺ﴾ قال(١): «فُرِجَ سقْفُ بَيتي فَنزَلَ جبريل ففرجَ صدري، ثُمَّ غَسلهُ مِن زمزَمَ، ثُمَّ جاء بطستٍ من ذَهبٍ مُمتلىء حِكمةً وإيماناً فأفرَغها في صَدري ثُمَّ أطبَقهُ، ثُمَّ أخذَ بيدي فعَرجَ بنا إلى السماء» فذكر القصة.

وروى قَتادة الحديثَ بمثلِه عن أنسٍ، عن مالكِ بنِ صَعصعَة وفيها تقديمٌ وتأخيرٌ، وزيادةٌ ونقصٌ، وخلافٌ في ترتيب الأنبياء في السَّماواتِ(٢) وحديثُ ثابتٍ عن أنسٍ أتقنُ وأجودُ، وقد وقعتْ في حديث الإسراء زياداتٌ نذكُرُ مِنها نُكتاً(٣) مفيدةً في غرضنا.. منها في حديث ابنِ شهابٍ وفيه «قولُ كُلِّ نبيٍّ لهُ «مرحباً بالنبيِّ الصَّالحِ والأخ الصَّالحِ». إلَّا آدمَ وابراهيم فقالا له: «والابنِ الصَّالح».

وفيه من طريق ابن عبَّاسٍ «ثُمَّ عُرِجَ بي حتَّى ظهرتُ بمستوى أسمَعُ فيهِ صرِيفَ(٤) الأقلام(٥).

---

(١) رواه الشَّيخان.

(٢) رواه الشَّيخان.

(٣) النكت: المعاني اللطيفة.

(٤) صريف: بصاد وراء مُهملتين وفاء كالصَّرير وهو صوت حركة الأجرام والمراد صوت القلم على الورق.

(٥) كما رواه البُخاريُّ واحمد وغيرهما.

وعن(١) أنس «ثم انطُلِق بي حتَّى أتيتُ سِدرة المُنتهى فَغَشِيها وانٌ لا أدري ما هي. قال: ثم أُدخِلتُ الجنَّة».

في حديث(٢) مالكِ بن صعصعةَ «فلمَّا جاوزتُه، يعني موسى، بكى نُودِي ما يُبْكيك؟ قال: ربِّ هذا غلامٌ بعثتَهُ بعدي يدخل من أمته لجنَّة أكثر مِمَّا يدخُل مِن أمَّتي».

وفي حديث(٣) أبي هريرة «وقد رأيتُني(٤) في جماعةٍ من الأنبياء فحانت الصَّلاةُ فأممتُهم. فقال قائلٌ: يا محمَّدُ هذا مالكٌ خازنُ النَّار فسلِّم عليه، فالتَفتُ فبدأني بالسَّلام».

وفي حديث أبي هريرة «ثُمَّ سار حتَّى أتى بيتَ المَقدِس فنزَل فربَط فرسَه إلى صخرة فَصلَّى مع الملائكة فلمَّا قُضيتِ الصَّلاةُ قالوا: يا جبريلُ: من هذا معك؟ قال: هذا مُحمَّد رسُولُ الله خاتمُ النَّبيِّين، قالوا: وقد أُرسِل إليه؟ قال نعم. قالوا: حَيَّاه الله من أخٍ وخليفةٍ فنعم الأخُ ونعمَ الخليفةُ.

ثم لقوا أرواح الأنبياء فأثْنوا على ربِّهم وذكَرَ كلامَ كُلِّ واحِدٍ منهم

---

(١) مرفوعـــا.

(٢) رواه الشَّيخان.

(٣) رواه البيهقيُّ.

(٤) رأيتنى: بضم التاء ضمير المتكلم والرؤية هنا بصرية لان الاسراء كان فى اليقظة.

وهُم : إبراهيمُ، ومُوسىٰ ، وعيسى ، وداودُ، وسليمانُ، ثُمَّ ذكَرَ النَّبي ﴿ﷺ﴾ . فقال : وإنَّ مُحمَّداً ﴿ﷺ﴾ أثنى على ربِّه عز وجل «كلكم أثنى على ربِّه وأنَا أُثني على ربِّي : الحمدُ لله الَّذي أَرسلني للعالمين، وكافَّةً للنَّاسِ بشيراً ونذِيراً . وأَنزل علـيَّ الفُرقان فيه تِ كُلِّ شيء ، وجَعلَ أُمتي خيرَ أُمَّةٍ . وجَعَل أُمَّتي أُمَّةً وسَطاً . وجعَلَ هم الأولون وهم الآخِرون .

وشَرحَ لي صَدري ، ووَضعَ عَنِّي وِزري ، ورَفع لي ذِكْرِي ، وجَ فاتِحاً وخَاتماً . فقال ابراهيمُ : بهذا فَضلَكُم مُحمَّدٌ .

ثُمَّ ذكَرَ أَنَّهُ عُرِج به إلى السَّماء الدُّنْيا، ومن سماء إلى سماء نحو تقدم .

وفي حديث(١) ابنِ مسعُودٍ «وانْتهي به إلى سِدرةِ الْمنتهى ، وهي السَّماء السَّادسةِ ، إليها يَنتهي ما يُعرجُ به من الأرض ، فيُقبضُ من وإليها ينتهي ما يهبط من فوقها فيقُبضُ منها .

معنى السدرة

قال تعالى : «إِذْ يَغْشى السِّدْرَةَ مَا يَغْشى»(٢) .

---

(١) رواه أبونعيم في دلائله وابن عرفة فى جُزئه .

(٢) سورة النجـم (١٥) .

ل: (١) «فَرَاشٌ من ذَهبٍ».
ن رواية أبي هُريرةَ من طريق الرَّبيع بن أنسٍ: فقيل لي: هذه
ة المُنتهىٰ، ينتهي إليها كل أحدٍ من أُمَّتِك خَلَا(٢) على سَبيلك،
سِدرةُ المُنتهى يخْرُجُ من أصلِها أنهارٌ مِن ماء غير آسِنٍ، وأنهارٌ من
لم يتغيَّر طعمُهُ، وأنهارٌ من خمرٍ لذَّةٍ للشَّاربينَ، وأنهارٌ من عَسلٍ
ى، وهي شجرةٌ يسيرُ الرَّاكِب في ظِلِّها سبعين عَاماً، وأنَّ ورقةً منها
ا الخَلق فغشِيها نورٌ وغشِيتها الملائِكَةُ.
ال: فهو قوله: «إذ يَغشَى السِّدْرةَ ما يغْشَى».
قال تبارك وتعالى له: «سَـلْ».
قال إنَّك اتَّخذتَ إبراهيم خليلاً، وأَعْطَيْتَهُ مُلكاً عظيمًا. وكلمتَ
ى تكليمًا، وأعطيتَ داودَ ملكاً عظيمًا، وأَلنتَ له الحديد، وسخَّرت
لجبالَ، وأَعطيتَ سلميانَ مُلكاً عظيمًا، وسخّرت له الجنَّ والإنس
ياطينَ والرِّياح، وأعطيتهُ مُلكاً لا ينبغي لأحدٍ من بَعده، وعلَّمْت
ى التَّـوراة والإنجيلَ، وجعلتهُ يُبرىء الأكمه والأبرَصَ، وأَعذتهُ

سؤال رسـول الله ﴿ﷺ﴾ ربًّا

ي ابن مسعود رضي الله عنه. والفَراش بفتح الفاء الطائر المعروف والمراد ذهب على صورة
ن.
خـلا: مضـى.

وأُمَّهُ من الشَّيطانِ الرَّجيم فلمْ يكُن لهُ عليهِما سَبيلٌ.

فقالَ لهُ رَبُّه تعالى قد اتَّخذتُكَ خليلاً وحَبيباً، فهُو مكتُوب في التَّوارة محمدٌ حبيبُ الرَّحمن: وأرْسلتُك إلى النَّاسِ كافَّةً وجعلتُ أُمَّتكَ هُمُ الأوَّلُون وهُمُ الآخِرُون، وجعلتُ أُمتَّك لا تجوزُ لهم خُطبةٌ حتى يشهدوا أنَّك عبدي ورسُولي، وجعلتُكَ أوَّل النَّبيِّين خَلقاً، وآخِرهم بعثاً وأعطيتُك سَبعاً من المثاني ولم أُعطِها نبيّاً قبلكَ، وأعطيتُك خواتيم سورةِ البقرةِ من كَنزٍ تحتَ عرشِي لم أُعطِها نبيّاً قَبلك، وجعلتُك فاتِحاً وخاتِماً.

وفي الرِّوايةِ الأخرىٰ(١) قال: «فأعطِيَ رسولُ الله ﴿ﷺ﴾ ثلاثاً:

- أُعطِي الصَّلواتِ الخمسَ.
- وأُعطِي خواتيمَ سُورةِ البَقرةِ.
- وغُفِر لمن لا يُشرِك بالله شيئاً من أُمَّتهِ المُقْحِمات(٢).

وقال(٣) «ما كذَبَ الفُؤادُ ما رأى»(٤) الآيتين.

رأى جبريلَ في صُورتهِ لهُ ستمائة جناح.

---

(١) الَّتي رواها مُسلمٌ.

(٢) المقحمات السيِّئاتُ المُهلِكات.

(٣) ابن مســـعود

(٤) سُــورة النجـم ١٠

وفى حديث شِريك «أنَّهُ رأى موسى في السابعةِ ـ قال بتفضيلِ كلام
ه ـ قال: ثم عُلِيَ به فوق ذلك بما لا يعلمهُ إلاَّ الله، فقال موسى: لم
ظُنَّ أن يُرفعَ علَـيَّ أحدٌ.

وقد روي(١) عن أنسٍ أنَّه ﴿ﷺ﴾ «صلَّى بالأنبياء ببيتِ
لمقْدِس».

وعن أنسٍ رضى الله عَنه قال: قال رسُولُ الله ﴿ﷺ﴾:
بينا أَنا قاعدٌ ذاتَ يومٍ إذ دخلَ جبريلُ عليه السَّلامُ فوكَزَ بين كَتِفيَّ
فقُمتُ إلى شَجرةٍ فيها مِثْلُ وكرَيْ الطَّائرِ، فقَعَدَ في واحِدة وقعدتُ في
لأخرى، فنَمَتْ حتى سَدَّت الخافقين، ولو شِئتُ لَمسِسْتُ السَّماء وأنا
أُقلِّبُ طرفي، ونـظرتُ جبريل كأَنَّـه حِلْسٌ(٢) لا طِيء (٣) فعرَفْتُ
فضلَ عِلمِهِ بالله علَـيَّ وفُتح لي باب السَّماء، ورأَيتُ النُّور الأعظَم
ولُطَّ(٤) دُونيَ الحِجابُ وفُرَجَهُ الدُّر والياقوتُ ثُمَّ أَوحى الله إلـيَّ ما شاء
أن يُوْحيَ.

---

(١) رواه البَّزارُ والبيهقيُّ عنه

(٢) حِلس: كساء رقيق يلي ظهر البعير.

(٣) لاطيء: لاصـــق

(٤) لُطَّ: أُرخيَ

وذكر البزَّارُ عن عليٍّ بن أبي طالبٍ رضى الله عنهُ:

لَّما أراد الله تعالى أَنْ يعلِّم رسولَهُ ﴿ﷺ﴾ الأذانَ جاءهُ جبريل يقالُ لها البُراقُ فذهبَ يركبُها فاسْتصعبتْ عليه.

فقال لها جبريل: اسكُني، فوالله ما ركبكِ عبدٌ أكرمُ على الله مُحمَّد ﴿ﷺ﴾. فركبها حتَّى أَتى بها إلى الحجابِ الَّذي يلي الر تعالى، فبَينا هو كذلِك إذْ خَرج ملكٌ من الحجاب.

منتهى علوم

فقال رسُولُ الله ﴿ﷺ﴾ «يا جبريل مَنْ هَذا؟!»

قال: والَّذي بَعثَك بالحقِّ إنِّي لأقربُ الخَلقِ مكاناً وإنَّ هذا ما رأيتُه مُنذُ خُلِقتُ قبلَ ساعَتي هذه.

الأذان

فقال الملَكُ: الله أكبر الله أكبر.

فقيلَ لَهُ من وراء الحِجاب:

صَدقَ عَبْدي أنا أَكبُر أنا أكبُر.

ثُمَّ قالَ المَلكُ: أشهدُ أنْ لا إله إلَّا الله.

فقيل له من وراء الحجاب:

صَدَقَ عَبدي أنا الله لا إله إلَّا أَنا..

وذكر مِثل هذا في بقيَّةِ الأذانِ. إلَّا أنَّه لم يذكُرْ جواباً على قولِهِ عَلى الصَّلاةِ حيَّ الفَلاح.

وقالَ: ثُمَّ أَخذ الملكُ بيد مُحمد ﴿ﷺ﴾ فقدَّمه فأَمَّ أَهل السَّم

آدمُ ونوحٌ .

ل أبوجعفرَ محمدُ بن عليٍّ بنِ الحُسينِ راوية(١) :

ـمل الله تعالى لمحمدٍ ﴿ﷺ﴾ الشرفَ على أهلِ السَّماواتِ

ض .

ال القاضي وفقهُ الله : ما في هذا الحديث من ذكرِ الحجاب فهو في المخلوقِ لا في حقِّ الخالِق، فهمُ المحجوبُون، والباري جلَّ اسمُه عما يحجبُهُ. إذ الحُجُبُ إنَّما تحيط بمقدَّرٍ محسُوس . ولكن حُجُبَهُ أبصار خلقِهِ وبصائِرهم وإدرَاكاتِهِمْ بما شاء وكيفَ شَاء ومتَى شاء ـهِ تعالى: «كَلَّا إنَّهُمْ عَنْ ربِّهِم يَوْمَئذٍ لَمَحْجُوبُوْنَ» . (٢)

معنى الحجاب ولمن يكون

ـقوله في هذا الحديث «الحِجابُ» «وإذ خرج ملك من الحِجابِ» ـ أن يقال: إنَّه حجابٌ حجِبَ به من وراءه من ملائكتِهِ عن ـلاع على ما دونه من سُلطانِهِ وعظمتِهِ، وعجائبِ مَلكُوته وجَبَرُوْتِهِ، ـلُّ عليه من الحديث قولُ جبريلَ عن الملكِ الَّذي خَرجَ من ورائه: هذا الملك ما رأيتُه مُنذُ خلِقتُ قبل ساعتي هذه» فدَّل: على أنَّ ا الحجاب لم يختصَّ بالذات، ويدلُّ عليه قول كعبٍ في تفسيرِ سِدرةِ

ي راوي هذا الحديث الذي ذكره البزَّارُ في مُسندِه.

ـسورة المطففين (١٤).

المُنتهى قال: إليهـا ينتهي علمُ الملائِكة، وعندها يجدُون أمرَ الله لا يجاوزُها علمُهم.

وأما قوله: «الَّذي يلي الرَّحمن» فيُحملُ على حذف مضافٍ أي: يلي عرش الرَّحمن: أو أمراً مَّا من عظيمِ آياته، أو مبادي حقائق معارفه مَّما هو أعلمُ به.

كما قال تعالى: «واسْأل القَريةَ(١)» «أي أهلها».

وقوله: «فقيل من وراء الحجاب: [صدَقَ عبدي أنا أكبُر].

فظاهره: أنَّه سمع في هذا الموطن كلامَ الله تعالى ولكِن من وراء حِجاب.

كما قال تعالى «وَما كانَ لِبَشَرٍ أَنْ يكَلِّمَهُ اللهُ إلَّا وَحْياً أوَ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ(٢) أي وهو لايراه، حَجَبَ بَصَرَهُ عن رؤيته.

فإن صحَّ القولُ: بأنَّ محمَّداً ﴿ﷺ﴾ رأى ربَّه عَزَّ وجَلَّ. فيُحتملُ أنَّهُ في غير هذا الموطِنِ. بعْد هذا. أو قبلهُ رُفع الحجابُ عن بصِرهِ حتَّى رآه.

والله أعلـــــــــــــــم

---

(١) ســورة يوســف آية (٨٢).

(٢) ســورة الشــورى آية (٥١)

الفصل الثالث

حقيقــة الإســـــراء

ثمَّ اختلَفَ السَّلفُ والعُلماء .

هل كان إسراؤهُ بروحِهِ أو جسدِهِ !؟ . .

على ثلاثِ مقالاتٍ :

الأقوال في الإسراء وبمَ كان ؟

فذهب طائفةٌ : إلى أنَّه إسراء بالرُّوحِ ، وأنَّه رُؤيا منامٍ . مع اتفاقهم : أنَّ رُؤيا الأنبياء حقٌّ ووَحْيٌ .

وإلى هذا ذهب(١) معاويةُ وحُكي عن الحسنِ والمشهورُ عنه خلافُه وإليه أشار مُحمدُ بن إسحق .

---

(١) كما رواه ابن إسحق وابنُ جريرٍ عنه .

وحُجَّتُهم قوله تعالى «وَمَاجَعَلْنا الرُّؤْيَا التي أَرَيْنَاكَ إلاَّ فِتْنَةً لِلنَّاسِ»(١).

وما(٢) حَكوا عن عائِشة رضى الله عنها
ما فقدتُ(٣) جَسدَ رسُولِ الله ﴿ﷺ﴾.
وقوله: «بينَا أنا نائِمٌ».

وقولُ أنسٍ: وهو نائم في المسجدِ الحرامِ. وذكَر القصَّة ثم قال في آخِرها: فاستيقظتُ وأنا بالمسجد الحَرامِ.

وذهب معظمُ السَّلفِ والُمسلمين: إلى أنَّه إسراء بالجسد وفي اليَقظ وهذا هُو الحقُّ.. وهو قول ابن عبَّاس - وجابرٍ - وأنسٍ - وحذيفة - وعمر - وأبي هريرة - ومالكِ بن صعصعة - وأبي حبَّة البدريِّ - وابن مسعُودٍ - والضَّحاك - وسعيد بن جُبير - وقتادة - وابنِ المَسَيِّب - وابن شِهابٍ - وابن زيدٍ - والحسنِ - وأبراهيمَ - ومسروقٍ - ومُجاهدٍ - وعكرم - وابن جُريجٍ.

وهـو دليل قولِ عائشـة وهو قولُ الطبريِّ - وابنِ حنبل - وجماع

---

(١) سورةُ الإسراء آية «٦٠».
(٢) من رواية ابن اسحق وابن جرير.
(٣) ويُبطلُه أنَّه ما بنى بها إلاَّ بعد الهجرة.

ـةٍ من المسلمين .
ـو قولُ أكثرِ المتأخِّرين من الفُقهاء والمحدِّثين والمتكلِّمين
ـرين .
ـالت طائفةٌ : كان الإسراء بالجسد يقظة من المسجدِ الحرامِ إلى
المقْدس ، وإلى السَّماء بالرُّوحِ .
حتَجُّوا بقوله تعالى «سُبحانَ الَّذي أسرى بِعبدهِ ليلاً مِن المسجدِ
م إلى المسجدِ الأقصى»(١) .
جعل «إلى المسجدِ الأقصى» غايةَ الإسراء الَّذي وقع التعجُّبُ فيه
ـظيمِ القُدرةِ والتمدُّح بِتشريف النبي محمد ﷺ به وإظهارِ الكرامةِ
ـه بالإسراءِ إليه .
ـال هؤلاء : ولو كان الإسراء بجسده زائداً على المسجد الأقصى
ـه، فيكون أبلغَ في المدح .

الاختلاف بشأن صلاته في المسجد الأقصى هل كانت أم لا ؟

ـمَّ اختلفتْ هذه الفرقةُ : هل صلَّى ببيت المقدسِ ؟! أم لا .
ـفي حديثِ أنسٍ وغيره : ما تقدَّم من صلاتِهِ فيه .
ـأنكر ذلك(٢) حذيفةُ بنُ اليمانِ وقال :

ـورة الاسراء آية (١)
ـواه أحمد عنه .

«والله ما زَالا عن ظهرِ البُراقِ حتَّى رجَعَا».

قال القاضي وفَّقه الله: والحقُّ من هذا والصحيحُ إن شاء الله أنه إسراء بالجسد والروح في القصَّة كلهَا، وعليه تدل الآيةُ وصحيحُ الأخبار والاعتبارِ.

- ولا يُعدَل عن الظاهر والحقيقَةِ إلى التأويل إلَّا عند الاستحالة، وليس في الإسراء بجسده وحال يقظته استحالة.

إذْ لو كان مناماً لقال: برُوحِ عبدِهِ. ولم يقُل بعبده، وقوله تعالى «ما زَاغ البصَرُ ومَا طَغَى(١)» ولو كان مناماً لما كانت فيه آيةٌ ولا معجِزةٌ ولما استبعَدهُ الكُفَّار ولا كذَّبوُا فيه ولا ارتدَّ به ضعفاء من أسلَم وافتتنُوا به إذ مثل هذا من المنامات لا يُنكرُ. بل لم يكن ذلك منهم إلَّا وقد علموا أنَّ خبرهُ إنَّما كان عن جسمه وحالِ يقظتِهِ.

إلى ما ذُكِرَ في الحديث من ذكرِ صلاته بالأنبياء ببيت المقدس فى روايةِ أنسٍ، أو في السماء على ما روى غيرهُ، وذِكرِ مجيءَ جبريل له بالبُراقِ وخَبَرِ المعراج، وأستفتاح السَّماء، فيقال: من معك؟ . . فيقول: محمد. . ولقائه الأنبياء فيها وَخَبَرِهِم معه وترحيبهم به، وشأنِهِ في فرضِ الصَّلاةِ، ومراجعته مع موسى في ذلك وفي بعضِ هذه

(١) سورة النَّجم آية (١٦).

الأخبارِ «فأخذَ ـ يعني جبريلُ بيدي فعرج بي إلى السَّماء » إلى قوله «ثم عُرِجَ بي حتَّى ظَهرْتُ بمستوى أسمع فيه صريفَ الأقلام» وأنَّه وصل إلى سِدرة المنتهى ، وأنَّه دخلَ الجنَّة ورأى فيها ماذكره.

قال (١) ابن عبَّاسٍ «هي رُؤيا عين رآها ﴿ﷺ﴾ لا رُؤيا منامٍ » .

ين منام

وعن(٢) الحسن فيه : «بينَــا أنــا نائمٌ في الحِجـر جاءني جبريلُ فهمزني(٣) بعقِبه فقُمتُ فجلستُ فلم أرَ شيئاً فعُدت لمضجعي ـ ذكر ذلك ثلاثاً ـ فقال في الثَّالثة : «فأخذ بِعضدي فجرَّني إلى باب المسجِدِ فإذا بِدابَّةٍ . . وذكر خبر البُراق .

وعن(٤) أُمِّ هانىء : ما أُسْرِيَ برسول الله ﴿ﷺ﴾ إلَّا وهو في بيتى تلك الليلةَ . صلَّى العِشـاء الآخـرة ونام بيننا ، فلمَّا كان قُبيلَ الفجر أَهبَّنا (٥) رسولُ الله ﴿ﷺ﴾ ، فلما صلَّى الصُّبح وصَلَّينا قال : «يا أُمَّ هانىء . . لقد صلَّيتُ معكم العِشاء الآخِرة كما رأيت بهذا الوادي ،

---

(١) رواه البخاريُّ .

(٢) رواه ابن اسحق وابن جرير عنه مُرسلاً .

(٣) همزني : همزه كضربه وما وقع في بعض النسخ نهزنى من تحريف النسَّاخ أى مَسَّنى بشدَّ لينبهنى .

(٤) روى ذلك عنها ابن اسحق والطبرانيُّ وابن جرير .

(٥) أهبنا : بالهمزة فى أوله وتشديد الموحدة أى ايقظنا .

ثُمَّ جئتُ بيتَ المقدِس فصلَّيتُ فيه ثمَّ صلَّيت الغداةَ معكم الآن ك ترون . . » .

وهذا بيِّنٌ في أنه بجسَدِه . .

وعن(١) أبى بكرٍ من روايةِ شَدَّاد بنِ أوْسٍ عنه أنَّه قال للنبيِ ﴿ﷺ﴾ ليلةَ أُسرِي به :

«طلبتُكَ يا رسول الله البارِحة في مكانِك فَلَمْ أَجِدْكَ» .

فأجابه «إنَّ جبريلَ عليه السَّلامُ حملني إلى المسجد الأقصى» .

وعن(٢) عمر رضى الله عنه قال :

قال رسولُ الله ﴿ﷺ﴾ «صليتُ ليلةَ أُسري بي في مقدَّم المسجد ثم دخلت الصَّخرة فإذا بملكٍ قائمٍ معه آنيةُ ثلاثٌ . وذكر الحديث .

وهذه التصريحات ظاهرةٌ غيرُ مستحيلةٍ فتُحملُ على ظاهرها .

وعن(٣) أبي ذرٍّ عنه ﴿ﷺ﴾ : «فُرِج(٤) سقْفُ بيتي وأنا بمكة فنزل جبريلُ فَشَرَح صدري ، ثم غسلهُ بماء زمزم . . إلى آخر القِصَّة ثُمَّ أخذ

---

(١) رواه البيهقيُّ وابن مردويْه .

(٢) رواه ابن مرْدويْهْ عنه .

(٣) فى الصَّحيحين مرفوعاً .

(٤) فُرِجَ : مبنى للمجهول مخفَّف الرَّاء .

بيذي فعَرج بي . .

وعن أنسٍ «أُتِيتُ فانطلقُوا بي إلى زمزمَ، فشُرِح عن صدري».

وعن(١) أبي هريرة عنه «لقد رأيتُني في الحجر وقريش تسألُني عن مَسرايَ . . فسألتني عن أشياء لم أُثبِتها فكُرِبتُ كرباً ما كُرِبتُ مثله قَطُّ . . فرفَعَهُ الله لي أنظرُ إليه» . .

ونحوه(٢) عن جابرٍ.

وقد روى عمرُ بن الخطَّاب رضى الله عنهُ في حديث الإسراء عنه ﴿ﷺ﴾ أنَّه قال:

«ثُمَّ رجعتُ إلى خديجةَ وما تحوَّلت عن جانبها» . .



(١) رواه مسلم .

(٢) رواه الشيخان

الفصل الرابع

فى إبطال حُجج مَنْ قال: إنَّها نـــومٌ

احتجُّوا بقوله تعالى: «ومَا جَعَلنا الرُّؤيا الَّتي أَرَيْنَاكَ(١)».
فسمَّاها رؤيـــا . .
قُلنا قولُه: «سُبْحَانَ الَّذي أَسْرىٰ بِعَبْدِهِ»(٢) يردُّه لأنَّه لايقالُ في النوم «أسرىٰ».
وقوله «فِتنةً للنَّاس» يؤيد أنَّها رُؤيا عينٍ وَإِسْرَاء بشخصٍ إذ ليس فى الحُلمُ(٣) فِتنةٌ ولا يُكذَّبُ به أحدٌ، لأنَّ كلَّ أحدٍ يرى مثل ذلك في

---

(١) «إلاَّ فِتنةً للنَّاسِ» سورة الأسراء «٥٩».
(٢) سورة الإسراء «١»
(٣) الحلم: بضمَّتين أو ضمٍ فسكون وهو ما يراه النَّائم.

منامه من الكون في ساعة واحدة في أقطارٍ متباينة. على أن المفسِّرين قد اختلفُوا فى هذه الآية.

فذهب بعضُهم «إلي أنَّها نزلت في قضيَّة الُحديبية، وما وقعَ في نفوس النَّاسِ من ذلك.

وقيل غيُر هذا.. وأمَّا قولهم: إنَّه سَّماها في الحديث مناماً.

وقوله فى حديث آخر: «بين النائمِ واليقْظان» وقوله أيضا: «وهُو نائم». وقوله: ثم استيقظت.. فلا حُجَّة فيه.. إذ قد يُحتمل أنَّ أوَّل وصول الملك إليه كان وهو نائم. أو: أوَّل حمله والإسراء به وهو نائم وليس فى الحديث أنَّه كان نائمًا في القصَّة كُلِّها إلاَّ ما يدُلُّ عليه قوله: «ثُمَّ استيقظت وأنا في المسجد الحرام».

فلعلّ قوله: «استيقظت» بمعنى أصبحت، أو استيقظ من نوم آخر بعد وصوله بيته. ويدل عليه أنَّ مَسْرَاه لم يكن طولَ ليلهِ، وإنَّما كان في بعضه.

وقد يكون قوله: «استيقظت وأنا فى المسجد الحرام» لما كان غمرَهُ من عجائب ما طالع من ملكُوت السَّماوات والأرض.. وخامر باطِنه من مُشاهدةِ الملأ الأعلى، وما رأى من آيات ربِّه الكبرى، فلم يستفِقْ ويرجع إلى حال البشريَّة إلاَّ وهو بالمسجد الحرام.

ووجه ثالث: أن يكون نومُه واستيقاظه حقيقة على مُقتضى لفظه، ولكنَّه أُسري بجسدِه وقلبُهُ حاضرٌ ورؤيا الأنبياء حـقٌّ. تنامُ أعينهم ولا تَنامُ قلُوبُهم.

وقد مال بعض أصحاب الإشاراتِ إلى نحوٍ من هذا قال: تغميض عينيه لِئلاَّ يشغلُه شيء من المحسوساتِ عن الله تعالى.. ولا يصحُّ هذا أن يكون في وقت صلاتِه بالأنبياء ولعلَّه كانت له في هذا الإسراء حالاتٌ.

ووجـهٌ رابـع: وهـو أن يعـبَّر بالنَّـوم ههنـا عن هيئـة النـائم من الاضطجاع.. ويقوِّيه قولُه في رِوايَةِ عبدِ بن حُميدٍ عن هـمَّام:
«بينا أنَا نائِم في الحطِيم» ـ وربَّما قال في الحِجرْ ـ مُضطجعٌ وقولُه في الرِوايةِ الأخرى «بين النَّائم واليقظان» فيكون سمَّى هيئته بالنَّوم لِما كانتْ هيئةُ النَّائم غالباً.

وذهب بعضُهم: إلى أنَّ هذه الزيادات من النَّوم، وذكرِ شقِّ البطن ودنـوِّ الرَّبِّ عزَّ وجلَّ الواقعةِ في هذا الحديث إنَّما هي من رواية شَرِيك عن أنسٍ فهي منكـرةٌ(١) من روايته. إذ شقُّ البطنِ في الأحاديثِ

---

(١) منكرة: أي شاذَّةٌ مخالِفةٌ لروايات سائر الثِّقات لأنَّ شَرِيكا طعن فيه ابنُ حِبَّان وغيرُه وقال ليس بثبتٍ.

الصَّحيحة إنَّما كانَ في صِغرِه ﴿ﷺ﴾ ولأنَّه قال في الحديث: «قبلَ أن يُبعثَ» والإِسراء بالإِجماع كان بعدَ المبعثِ. فهذا كلُّه يُوهِنُ ما وقع في رواية أنسٍ (١) مع أنَّ أنساً قد بينَّ من غير طريقٍ أنَّه إنَّما رواه عن غيرِه، وأنَّه لم يسمعه من النبيِّ ﴿ﷺ﴾. فقال مرة: «عن مالكِ بن صعصعة».

وفي كتاب مسلمٍ: «لعلَّه عن مالِكِ بنِ صعصعة» على الشكِّ.

وقال مرَّةً: «كان أبو ذَرٍّ يُحدِّثُ».

وأما قولُ(٢) عائشة: «ما فَقَدْتُ جسدهُ» فعائِشةُ لم تُحدِّثْ به عن مُشاهدةٍ لأنَّها لم تكُن حِينئذٍ زوجةً، ولا في سِنٍّ من يضبطُ ولعلَّها لم تكُن وُلِدتْ بعدُ. على الخلافِ في الإِسراء متى كان.

ـ فإنَّ الإِسراء كان في أوَّل الإِسلام على قولِ الزُّهريِّ ومن وافقهُ

---

(١) قال العَسْقلانيُّ في باب المعراج في كتاب المبعث: استنكرَ بعضُهم وقُوعَ شقِّ الصَّدر ليلة الإِسراء وقال: إنَّما وقعَ وهو صغيرٌ في بني سعد. ولا إنكار في ذلك فقد تواردتْ الأخبار وثبت شقُّ الصَّدر عند البعثةِ أيضا كما اخرجهُ أبونعيم فى الدَّلائل ولِكُل منها حكمة: وقد ثبت أيضاً من غير رواية شِريك في الصَّحيحين من حديث أبي ذرٍّ. وأنَّ شقَّ الصَّد، وقع أيضاً عند البعثة كما أخرجه أبوداود والطَّيالسيُّ فى مُسندِه. وأبو نُعيم والبيهقيُّ فى دلائل النُّبـوَّةِ. وكذلك قال العراقيُّ والقُرطُبيُّ.

(٢) كما رواه ابْن إسحق وابنُ جريرٍ.

بعد المبعثِ بعامٍ ونِصفٍ وكانت عائِشةُ في الهِجرة بنت نحو ثمانيةِ أعوامٍ .

وقد قيل: كان الإسراء لخمسٍ قبلَ الهِجرة. وقيل: قبلَ الهِجرة بعامٍ . والأشْبهُ: أنَّه لِخمسٍ (١).

والحجَّةُ لذلك: تطول. . ليستْ مِن غرضنا فإذا لم تشاهِد ذلك عائِشة دلَّ على أنَّها حدَّثت بذلك عن غيْرِها، فلم يُرجَّح خبـرُها على خَبرَ غيْرِهاَ

وغيـرُها يقولُ خلافه مـمَّا وقعَ نصّاً في حديثِ أُمِّ هانىء وغيره وأيضاً فليس حديثُ عائشة رضى الله عنها بالثابتِ والأحاديثُ الأخَر أثبتُ، لسنا نعني حديث أُمِّ هانىء، وما ذُكِرتْ فيه خديجة، وأيضاً فقد رُوي في حديث عائشة «ما فقدتُ» ولم يدخل بها النبيُّ ﴿ﷺ﴾ إلاَّ بالمدينةِ، وكلُّ هذا يوهِّنُهُ .

بل الذى يدلُّ عليه صحيحُ قولِها أنَّه بجسدِه لإنكارها أنْ تكون رؤياه لربِّه رؤيا عينٍ، ولو كانت عندها مناماً لم تنكِرهُ . .

---

(١) قال السُّبكيُّ الإجماع على أنه كان بمكة والذى نختاره ما قاله شيخنا أبومحمد الدمياطي انه قبل الهجرة بسنة وهو فى الربيع الأول قال ولا احتفال بما تضمنته الذكرى واحياء المصريين لبلة السابع والعشرين من رجب بدعة

فإن قيل : فقد قال تعالى : «ما كَذبَ الفُؤادُ ما رأىٰ» (١)
فقد جعلَ «ما رآه» للقلبِ، وهذا يدُلُّ على أنّه رُؤيا نومٍ ووحيٍ ، لا مشاهدةُ عينٍ وحسٍ .

قلنا : يقابِلُه قولُه تعالى «مَازَاغَ الْبَصَرُ وَمَاطَغَى (٢) فقد أضاف الأمر لِلْبَصَرِ.

وقد قال أهلُ التَّفسيرِ فى قوله تعالى : «ما كذبَ الفُؤادُ ما رأى» أي لم يُوهِم القلبُ العينَ غَيْرَ الحقيقة، بل صَدَّق رؤيتها.

وقيل : ما أنكر قلبُه ما رأتهُ عيناه . .



(١) سورة النجم آية (١٠)

(٢) سورة النجم آية (١٦)

الفصل الخامس

تفضيلُه يــومَ القيامــــــــــة
في ذِكر تفضيله في القيامة بخصُوصِ الكَرامـــة

عن(١) أنسٍ قال: قالَ رسُـــول الله ﴿ﷺ﴾: أنــا أوَّل النَّـاس
ِوجاً إذا بُعثوا، وأنا خطيبُهم إذا وفَدوا، وأنا مبشِّرُهم إذا أيِسُوا. .
ء الحمد بيدي، وأنا أكرمُ ولدِ آدمَ على ربِّي ولا فخرَ.
وعن(٢) أبي هريرة رضى الله عنه: وأُكسى حُلَّة من حُلل الجنَّةِ. . ليس احـ
أقومُ عن يمين العَرشِ. . ليس أحدٌ من الخلائِقِ يقومُ ذلك المقام من الخـلا يقـوم ذلا المقام غير
ِي.

) أنفرد به الترمذيُّ وقال: إنَّهُ حسنٌ غريب.
) كما رواه الترمذيُّ وصحَّحه.

وعن أبي(١) سعيدٍ الخُدرِيِّ قال: قال رسولُ الله ﴿ﷺ﴾.
أنا سيِّدُ ولدِ آدمَ يومَ القِيامَةِ. . وبيدي لواءُ الحمدِ ولا فَخرَ. . وما
ْ يومئِذٍ آدمُ فمن سواه إلاَّ تحتَ لوائي. . وأنا أوَّل من تنشقُّ عنهُ
رضُ ولا فخر. . .

ما نبي يو
آدم فمر
سواه إلاَّ
تحت لوا

ن (٢) أبى هريرة عنهُ ﴿ﷺ﴾ أنا سيِّدُ ولدِ آدم يومَ القيامةِ، وأوَّلُ من
نشقُّ عنهُ القبـرُ، وأوَّلُ شافعٍ وأوَّلُ مُشفَّعٍ . وعن أنسٍ (٣) «أنا أوَّلُ
ناسِ يشفُع في الجنَّةِ، وأنا أكثرُ النَّاس تبعاً». .

أكثرُ الن
تَبَعاً

وفي حديث(٤) آخر: «أما ترضونَ أن يكون إبراهيم وعيسى فيكم
وم القيامة. . ثم قال: إنَّهما في أُمَّتي يوم القيامة. . أمَّا إبراهيمُ فيقول:
نتَ دعـوتي وذُريتي فاجعلنى من أُمَّتِك. . وأمَّا عيسى فالأنبياء إخوةٌ

ابراهـ
وعيسـ
من

١) رواه أحمد والترمذيُّ وحسَّنهُ وابن ماجه عنه مرفوعاً.

٢) رواه مسلمٌ وابوداودَ.

٣) رواه مسلمٌ.

٤) رواه مسلمٌ.

بنوعَلَّات(١) أمَّهاتُهم شتَّى. . وإنَّ عيسى أخي ليس بيني وبينهُ نبيٌّ وأنا أولى النَّاسِ به».

قولـه: «أنـا سيِّد النَّـاس يومَ القيامة» هو سيِّدُهُم في الدُّنيا ويوم القِيامةِ، ولكن أشار ﴿ﷺ﴾ لانفراده فيه بالسُّؤدَد والشَّفاعَةِ دون غيره، إذ لجأَ النَّاسُ إليه في ذلك فلم يجدوا سواه، «والسيِّد» هو الذي يلجأُ النَّاسُ إليه في حوائجهم. . فكان حينئذ سيِّداً مُنفرِداً من بين البـشِر، لم يزاحِمهُ أحدٌ في ذلك ولا ادَّعاه. . كما قال تعالى «لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ؟. لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ(٢)» والمُلكُ له تعالي في الدُّنيا والآخِرةِ. . لكن في الآخِرةِ، انقطعت دعوى المدَّعين لذلك في الدُّنيا. . وكذلك لجأ إلى مُحمدٍ ﴿ﷺ﴾ جميعُ النَّاس في الشَّفاعةِ فكان سيِّدهُم في الأخرى دُون دَعوى.

وعن(٣) أنسٍ رضى الله عنهُ قال: قال رسول الله ﴿ﷺ﴾ «آتي بابَ الجنَّـة يوم القيامـة فأستفتحُ فيقولُ الخازنُ من أنت؟. فأقول: محمدٌ. فيقولُ: بِكَ أُمِرتُ أن لا أفتح لأحدٍ قبلكَ».

---

(١) العَلَّات: المراد بالعلات الزوجات الضرائر جمع عَلَّة وهو من العَلل وهو الشرب مرة بعد مرة والشرب الأول يسمى نهلا فكـأنَّ الـزوجـات موارد للزوج، أو كأنَّ الأولاد مشاربهم مختلفة في الرضاع، وهذا أقربُ.

(٢) سورة غـافر (١٦)

(٣) كما في مُسلمٍ.

وعن (١) عبدالله بن عمرو قال: قال رسولُ الله ﴿ﷺ﴾ «حَوضي سيرةُ شهرٍ وزواياه (٢) سواء وماؤهُ أبيضُ (٣) من الوَرِق (٤) وريحه طيبُ من المِسكِ، كِيزانُه (٥) كنجوم السَّماء. من شرِب منهُ لم يظمأ أبداً».

وعن (٦) أبي ذرّ نحوُه وقال: «طُولُه ما بين عُمانَ إلى أيلةَ (٧) يشخُبُ (٨) فِيهِ مِيزابان (٩) مِن الجنَّةِ.

---

(١) فى الصَّحيحين.

(٢) يدلُّ على أنَّه مربَّع.

(٣) أبيض: أفعل تفضيل من البياض ضدّ السواد.

(٤) الورق: بفتح الواو وفتح الراء المهملة وكسرها وسكونها الفضَّة مطلقاً أو ما ضرب منها وفى نسْخةٍ (من اللبن).

(٥) كيزانه: جمع كوز وهو إناء يُتناول به الماء للشرب والأصل أنه إناء ضيق الفم له عُروة فان لم يكن له عروة فهو كوب وجمعُهُ أكواب فإن كان فيه شراب فهو كأس.

(٦) رواه مسلمٌ.

(٧) قريةٌ في آخر طرف الشَّام إلى البحر متوسطةٌ بين المدينة ودمشق وثمان مراحل بينهما وبين مِصر وقيل: هى القريةُ التي قال الله تعالى عنها: (وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَت حَاضِرَةَ الْبَحْرِ).

(٨) يشخُبُ: بفتح الياء المثنَّاة التَّحتيةِ وسكونِ السِّين وضمِّ الخاء المُعجمتين وفتحها. وأصلُ الشَّخب: ما يُخرج من الضَّرع عند الحلب، والمقصودُ هُنا أنَّه ينصبُّ مع الصُّوتِ.

(٩) ميزابان: الميزاب: بكسر الميم وهمزة ساكنةٍ وتُبدل ياء سَيْلُ الماء.

وعن (١) ثوبان مِثلُهُ، وقال: «أحدهُمَا مِن ذهبٍ والآخرُ مِن ورِق».

وفي رواية (٢) حارِثَةَ بنِ وهبٍ: «كما بينَ المدينةِ وصنعاء».

وقال أنسٌ «أيلةَ وصنعاء».

وقال (٣) ابن عمر «كما بين الكوفة والحجر الأسود».

وروى حديثَ الحوضِ أيضاً أنسٌ (٤) وجابرُ بن سمُرةَ (٥) وابنُ عُمرَ (٦)، وعُقبةُ (٧) بن عامرٍ، وحارِثةُ (٨) بنُ وهبٍ الخُزاعِيُّ،

---

(١) رواه مسلمٌ.

(٢) رواه الشيخان.

(٣) رواه الشيخان عنه.

(٤) في الصَّحيحين.

(٥) رواه مسلمٌ.

(٦) رواه الشَّيخان وأبوداود.

(٧) رواه مسلمٌ وغيره.

(٨) رواه البخاريُّ والترمذي

والُمسْتورِدُ، (١) وأبُوبرزةَ (٢) الأسلميُّ، وحُذيفةُ (٣) بنُ اليمانِ، وأبُوأُمامَةَ (٤) ، وزيدُ (٥) بن أرقَم، وابُن مسعودٍ (٦) ، وعبدالله (٧) بنُ زيدٍ، وسهلُ (٨) بنُ سعدٍ، وسويدُ (٩) بنُ جَبْلَةَ، وأبو سعيدٍ الُخدريُّ وعبدُالله (١٠) الصُّنابحيُّ وأبُوهريرة (١١)، والبراء (١٢)، وجُندبُ (١٣) وعائشةُ (١٤) وأسماء

---

(١) رواه الشّيخان.
(٢) رواه أبوداود وابنُ حبَّان والبيهقيُّ
(٣) رواه مسلم وغيره.
(٤) رواه ابن حبَّان والبيهقيُّ
(٥) رواه أحمد بن حنبل والبيهقيُّ
(٦) رواه الشَّيخان
(٧) رواه الشَّيخان
(٨) رواه الشَّيخان
(٩) رواه البيهقيُّ وأبوزرعةَ الدمشقيّ فى مسند أهل الشام.
(١٠) رواه أحمد وابن ماجَه عنهُ.
(١١) رواه الشَّيخان.
(١٢) رواه أحمد والطبرانُّي
(١٣) رواه الشَّيخان
(١٤) رواه مسلمٌ

(١) بنتـا أبي بكـرٍ، وأبـوبكرةَ (٢) وَخَوْلَةُ (٣) بنتُ قيسٍ . . . وغيرهُم رضي الله عنْهُم أجمعين.



(١) رواه الشيخان

(٢) رواه الطبرانيُّ

(٣) رواه أحمد وغيُره عنها.

الفصل السادس

في تفضيله بالمحبَّة والخُلَّة

جاءتْ بذلِكَ الآثارُ الصَّحيحةُ . . واختُصَّ على ألسنَةِ المُسلمِين حبيبِ الله .

عن(١) أبي سعيدٍ عن النبيّ ﴿ﷺ﴾ أنَّه قال: «لو كُنتُ مُتَّخِذاً خليلاً(٢) غيْرَ ربي لاتَّخذت أبابكرٍ».

وفى حديث آخر: «وإنَّ صاحِبَكُم خليلُ الله(٣)».

صاحـ
خليلُ

(١) حديث صحيح رواه البخاريُّ وغيره من طرق متعدِّدة.

(٢) الأحاديثُ تفيدُ أن المخاللة من الجانبين إذا كانت بمعنى المحبَّةِ لا من الخلَّة بمعنى الحاجة فإن الله غنيٌ عن العالمين.

(٣) كما سيأتى مصرحاً من حديث ابن مسعود.

ومن (١) طريقِ عبدالله بنِ مِسعُودِ: «وقد اتَّخذ الله صاحِب
خَليلاً».

وعن(٢) ابن عبَّاسٍ قال: جلسَ ناسٌ من أصحابِ النَّبي ﷺ
ينتظرونه.. قال: فخَرَجَ حتَّى إذا دنا منهم سمعهُم يتذاكرُون فس
حديثهُم. فقال بعضُهم عَجباً.. إنَّ الله اتَّخذَ إبراهيم من خ
خليلاً..

وقال آخر: «ماذا (٣) بأعجب من كلامِ موسى.. كلَّمهُ ا
تكليمًا»..

وقال آخر: «فعيسى كلمةُ الله وروحُهُ».

وقال آخر: «آدمُ اصطفاهُ الله»

فخرج عليهم فسلَّم، وقال: «قد سمِعتُ كلامكُم وعَجبكُم، إ
الله تعالى اتَّخذَ إبراهيم خليلاً، وهُو كذلِكَ، وموسى نجيُّ الله، وه
كذلك، وعيسَى رُوحُ الله، وهو كذلك، وآدمُ اصطفاه الله، وه
كذلك.. ألا وأنا حبيبُ الله ولا فَخرَ.. وأنا حامل لِواء الحَمد يو
القيامة ولا فَخْرَ، وأنا أوَّلُ شَافعٍ وأوَّلُ مُشفَّعٍ ولا فخرَ.. وأنا أوَّلُ م

نا
يب الله

---

(١) رواه مسلمٌ والترمذيُّ والنسائيُّ.

(٢) رواه الدارميُّ والترمذيُّ عنه.

(٣) ماذا: يعني ليس اتخاذُ الله إبراهيم بأعجب من كلامِ موسى.

يُحرِّكُ حَلَقَ الجنَّةِ فيَفتحُ الله لي فيُدخِلُنيها ومعي فُقراءُ المُؤمِنينَ ولا فَخرَ، وأنا أكرَمُ الأوَّلِينَ والآخِرين ولا فَخْرَ». .

قال القاضى أبو الفَضل وفَّقهُ الله: أُختُلِفَ في تفسير «الخُلَّةِ» وأصلِ أشتقاقِها.

فقيل: «الخليل» المنقطعُ إلى الله الَّذي ليس في انقطاعه إليه ومحبَّته له اختلال.

وقيل: «الخليل» المُخْتصُّ(١). . واختار هذا القولَ غيرُ واحدٍ وقال بعضهم: أصلُ «الخلَّة»(٢) الاستصفاء (٣). . وسُمِّيَ إبراهيمُ «خليلُ الله» لأنَّه يوالي فيه ويعادي فيه وخُلَّةُ الله له نَصرُهُ وجَعلهُ إمامَ لِمن بعدهُ.

وقيل: «الخليل» أصلُه الفقير، المحتاجُ المنقطعُ. . مأخوذٌ من «الخَلَّةِ» (٤) وهي الحاجة: فسُمِّي بها إبراهيمُ لأنَّهُ قَصرَ حاجته على ربِّهِ، وانقَطَعَ إليه بهمِّهِ ولم يجعلهُ قِبَلَ غَيرِهِ إذْ جاءهُ جبريلُ، وهو في المَنْجَنِيْقِ، ليُرمى به في النَّار فقال: أَلكَ حاجةٌ؟ قال: أمَّا إليك فلا. .

---

(١) المختصّ: هو الذي اختص بخدمة الله واختيار ما كلَّفه من فِعلٍ وتَركٍ.

(٢) الخُلةُ: بضم الخاء.

(٣) الاستِصفَاء: أى كون مُحبته ومودَّته صافيةً اي خالصةً من الكُدُورَاتِ.

(٤) الخلَّة: بفتح الخاء الحاجة.

صفاء المودة وقال أبوبكر بن فُورَك «الخُلَّة» صفاء الـمَودَّةِ التي تُوجِبُ الآختص
بتَخلُّلِ الأسْرارِ. . .

المحبة وقال بعضهم: أصل «الخُلَة» المحبَّةُ ومعناها الإسعافُ والإلطا
والترفيعُ، والتشفيعُ. .

وقد بينَّ ذلك فى كتابه تعالى بقوله: «وَقَالَت الْيَهُوْدُ وَالنَّصَا
نَحْنُ أَبْنَاء اللهِ وأَحِبَّاؤُهُ. . قُلْ: فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُم»(١).
فأوجبَ للمحبوبِ. . أن لا يؤاخذَ بذُنُوبهِ. .

الخُلَّةُ أقوى من البُنُوَّةِ قال: هذا والخُلَّةُ أقْوى من البُنُوَّةِ. . لأن البُنُوَّةَ قد تكونُ
العداوة.

كما قال تعـالى: «إِنَّ مِنْ أَزْواجِـكُـمْ وأَوْلَادِكُـمْ عَدُوّاً لَكُ
فَاحْذَرُوهُمْ(٢)» الآية.

ولا يصحُّ أن تكُون عداوةً مع خُلَّةٍ. . فإذاً. . تَسميَةُ إبراهي
ومحمَّد عليهما السَّلامِ «بالخُلة» إمَّا بانقطاعهما إلى الله، ووقفِ حوائج
عليه، والانقطاعِ عَمَّن دُونهُ، والإضرابِ عن الوسائِطِ والأسبابِ
- أو لزيادةِ الاختصاصِ منهُ تعالى لهما وخَفيِّ ألطافِهِ عِندهُما،

---

(١) سورة المائدة «١٨».

(٢) «. . . وإن تعفُوا وتصفَحُوا وتغفِروا فإنَّ الله غفُورٌ رحيمٌ» سورةُ التغابن«١٤».

خالَلَ بَواطِنهُمَا من أسرارِ إلٰهيته، ومكنونِ غيُوبهِ ومَعرفتِهِ.

- أو لاستصفائهِ لُهما، واستصفاء قُلوبِهِما عمَّن سِواه، حتَّى لم يخالِله حبٌّ لغيره..

ولهذا قال بعضهم: «الخليلُ» ما لا يتَّسعُ قلبُه لسِواه.. وهو عنده معنى قوله ﴿ﷺ﴾ (١) «لو كنتُ مُتَّخِذاً خليلاً لاتَّخذت أبابكرٍ خليلاً لكنْ أُخُوَّةُ الإِسلام».

واختلف العُلماء أربابُ القُلوبِ «أيُّهما أرفعُ درجةً.. الخُلَّةُ أو درجة المحبَّةِ»..

الخلّة، المحبّة تسوية

فجعلها بعضُهم: «سَوَاءً فلا يكونُ الحبيبُ إلاَّ خليلاً ولا الخليلُ إلاّ حَبيباً. لكنَّه خَصَّ إبراهيم بالخُلَّةِ ومُحَمَّداً بالمحبَّةِ».

الخلة أرفع

وَبَعْضُهُمْ قَالَ: «درجَـةُ الخُلَّةُ أرفعُ.. واحتج بقوله ﴿ﷺ﴾ «لو كُنتُ مُتخِذاً خليلاً غَيْرَ ربي عزَّ وجلَّ» فلم يتَّخِذهُ. وقد أطلقَ المحبة لِفاطِمةَ وابنيها وأُسامة وغيرهم..

المحبة أرفع من الخلة

وأَكثرُهم: جَعلَ المحبَّةَ أرفعَ من الخُلَّةِ لأنَّ درجة الحبيب نبيِّنا أرفع من درجةِ إبراهيم..

---

(١) كما رواهُ البخاريُ: «إنَّ مِن امنِّ النَّاسِ عليَّ في صُحبتِهِ ومالِهِ أبابكر...»

وأصلُ المحبَّةِ الميلُ إلى ما يُوافِقُ المُحَبَّ(١) ولكِنَّ هذا في حقٍّ من يصح الميلُ منه، والانتفاعُ بالوفق(٢) وهي دَرَجَةُ المخلوقِ. . فأمَّا الخالق فمُنزَّهٌ عن الأغراض.

- فمحبَّتُه لعبدِهِ تمكينُه مِن سعادتِهِ، وتوفيقُه، وَتهْيِئَةُ أسبابِ القُرْبِ، وإفاضةُ رحْمَتِهِ عليه. . وقصواها كشفُ الحُجبِ عن قلبِهِ، حتَّى يراه بقلبه، وينظرَ إليه ببصيرتِهِ فيكون كما قال في الحديث(٣).

«فإذا أحببتُه كُنتُ سَمْعَهُ الَّذي يسمعُ به، وبَصَرَهُ الَّذي يُبصِرُ به، ولِسانَهُ الَّذي ينطِقُ به» ولا ينبغي أنْ يُفهم من هذا سوى التجرُّدِ لله والانقطاع إلى الله والإعراض عن غيرِ الله. وصفاء القلبِ لله، وإخلاص الحركاتِ لله.

كما قالت عائِشةُ رضي الله عنها: «كان خُلُقُهُ القُرآن بِرضاهُ يرضَى وبِسَخَطِهِ يسخطُ».

فإذاً مزيَّةُ الخُلَّةُ وخُصُوصيَّةُ المحبَّةِ حاصلةٌ لِنبيِّنا محمد ﴿ﷺ﴾ بما

---

(١) المُحبّ: بضم الميم وفتح الحاء بمعنى المحبوب.

(٢) الوَفْق: بفتح الواو وسكون الفاء قبل القاف أى الموافق فسُمِّي الفاعل بالمصدر أو هو على أصله بمعنى الموافقة بين الشَّيئين وهذا الأخير خير.

(٣) الحديث القدسيّ رواه البخاريُّ

دلَّت عليه الآثارُ الصَّحيحةُ المُنتشِرةُ، المُتلقَّاةُ بالْقَبُوْلِ من الأمَّة.

وكفي بقولِهِ تعالى: «قُلْ إنْ كُنْتُمْ تُحِبُّوْنَ الله... (١)» الآية

حكى أهلُ التَّفسير: إنَّ هذه الآية لَّما نزلت قال الكفار:

إنَّما يُريدُ مُحَمَّدٌ أنْ نتخِذهُ حَناناً(٢) كما اتَّخذ النَّصارى عيسى بن مَريمَ. فأنزلَ الله غيظاً لهم، ورغمًا على مقالتِهم هذه الآية:

«قُلْ أطِيعُوا الله والرَّسُولَ»(٣).

فزادَهُ شرفاً بأمرهم بطاعتِهِ وَقَرَنَهَا بِطَاعَتِهِ ثُمَّ توعَّدهُم على التوليِّ عنه. بقوله «فَإِنْ تَولَّوْا فَإِنَّ اللهَ لَايُحِبُّ الكَافِرِيْنَ»(٤)

وقد نقل الإمامُ أبوبكر بن فُورَك عن بعض المُتكلِّمين كِلاماً في الفرق بين المحبَّةِ والخُلَّة.. ونحنُ نذكُرُ منه طَرفاً يهدي إلى ما بعده.

فمن ذلك قولُهم: «الخليل» يصلُ بالواسِطةِ.. من قوله:

«وَكَذَلِكَ نُرِيْ إِبْرَاهِيْمَ مَلَكُوْتَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ»(٥)

---

(١) «.. فَاتَّبِعُونِى يُحبكُمُ الله ويغفِرْ لكُمْ ذُنُوبكُم والله غَفُوْرٌ رحِيمٌ» سورة آلِ عِمران(٣١)

(٢) حَناناً: بفتحتين مُخفَّف النون معناه الرَّحمة والاشفاق مأخوذٌ من الحنين وهو يكون مع صوت والمراد أن نعطف عليه ونجعله موضع الحنان والرَّحْمة أي نتبَّركُ ونتضَّرعُ به.

(٣) «فإن تولَّوا فإنَّ الله لا يُحبُّ الكافِرين» سورةُ آلِ عمران «٣٢».

(٤) سورَة آل عِمران «٣٢»

(٥) سورة الانْعام «٧٥» «وليكون مِن المُوقنين»

«والحبيب» يصل إليه به مِن قولِه «فكانَ قَابَ قوسَينِ أو أدْنىٰ(١) . الحبيبُ إليه با

وقيل «الخليل» الَّذى تكونُ مغفِرتُه في حدِّ الطَّمعِ من قولِهِ:

وَالَّذِى أَطْمَعُ أن يَغفِرَ لِيْ خَطِيئَتِيْ»(٢) .

«والحبيبُ» الذي مغفِرتُه في حدًا ليقين من قوله:

«لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ ماتَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَماتَأَخَّرَ»(٣) الآية

«الخليل» قال: «وَلَاتُخْزِني يَوْمَ يُبْعَثُونَ»(٤) .

«والحبيبُ» قيل له: «يَوْمَ لايُخْزِي اللهُ النَّبِيَّ»(٥) .

فابتُدىء بالبِشارةِ قبلَ السُّؤال. «والخليل» قال يوم المحنة حسبي الله.

«والحبيب» قيل له: «يَا أَيُّها النَّبيُّ حَسْبُكَ اللهُ» (٦)

«والخليل» قال: «وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِيْن»(٧)

---

(١) سُورة النَّجم«٩»

(٢) سورة الشُّعراء «٨٢» «يوم الدِّين».

(٣) سورة الفتح آية (٢) «وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطاً مُسْتَقِيمًا».

(٤) سورةُ الشُّعراء آية (٨٧).

(٥) «وَالَّذِيْنَ آمنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِم وبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لنا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْء قَدِيْرٌ». التحريم آية (٨)

(٦) سورة الأنفال آية (٦٤) «وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤمِنِينَ . . .»

(٧) سورة الشُّعراء آية (٨٤)

«والحبيب» قيل له: «وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ»(١).

أُعطي بلا سؤال.

«والخليل» قال: «واَجْنُبْني وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الأَصْنَامَ»(٢).

«والحبيب» قيل له: «إِنَّمَا يُرِيْدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمْ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ»(٣).

وفيما ذكرناه تنبيهٌ على مقصِدِ أصحابِ المقالِ من تفضيلِ المقاماتِ والأحوالِ.

و«كُلٌ يَعْمَلُ عَلىَ شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبْيلاً»(٤).



(١) سورة الانشراح آية (٤)

(٢) سورة إبراهيم آية (٣٥) «وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هٰذاَ الْبَلَدَ آمِناً وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ».

(٣) سورةُ الاحزاب اية (٣٣) «ويُطهِّركُم تطهيراً».

(٤) سورة الاسراء (٨٤) «قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ...».

الفصل السابع

تفضيلُه بالشَّفاعَةِ والمقام المحمُـود

قال تعالى: «عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً»(١).

عن آدم بنِ علي قال: سمعتُ ابن عُمـر يقـولُ(٢). «إنَّ النَّـاسَ

(١) سورة الإسراء آية (٧٩).

(٢) رواه البخاريُّ موقوفاً على ابن عمر ومثله لا مجالَ للرأي فيه له حُكمُ المرفوع. واحتمال أنَّه سَمِعه من أهل الكتاب بعيدٌ لا يُعوَّلُ عليه وكونُهُ سمعه من صحابي آخر لا يضَرُّ لأنَّ مُرسل الصَّحابيِّ مقبولٌ وهذا مِمَّا قاله أهلُ الأصول وقبلهُ الأئمَّة في مُصطلح الحديث وفيه بحثٌ لأنَّه يجوز أن يَكُوْنَ الصَّحابيُّ مِمَّن قرأ الكُتبَ القدِيمةَ أو يكون استنبطهُ من كتابٍ أو سُنَّةٍ فينبغي تقييده بما ذكر وأخرجه النَّسائي أيضاً.

ـرُون يوم القيامةِ جُثىً»(١) كُلُّ أُمَّةٍ تَتَّبعُ نبيَّها يقولون: يا فلانُ
ـع لنـا.. يا فلانُ اشفـع لنا.. حتَّى تنتهي الشَّفاعةُ إلي النبي
ﷺ﴾.. فذلك يوم يبعثُه الله المقامَ المحمودَ».

المقام المحمود

وعن(٢) أبي هريرة: سُئِـل عنهـا رسولُ الله ﴿ﷺ﴾ - يعني قوله
ـى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوْداً» فقال: «هي الشَّفاعةُ».

وروى كعبُ بنُ مالكٍ عنه ﴿ﷺ﴾(٣) «يُحْشَرُ النَّاس يَومَ القِيامَةِ
ونُ أنا وأمَّتي على تلٍّ، ويكسُونى ربِّى حُلَّةً خضراء ثُمَّ يُؤذَنُ فأَقُولُ
ـاء الله أن أقولَ.. فَذَلِكَ المَقامُ المحمُودُ».

وعن ابن عمـر رضى الله عنهـا - وذكر حديث الشَّفاعَةِ - قال:
مْشي حتَّى يأخُذَ بِحَلَقةِ الجَنَّةِ، فيومَئذٍ يَبْعثُه الله المقامَ المَحْمُودَ الَّذى
ـدُه».

وعن ابن مسعودٍ عَنْه ﴿ﷺ﴾(٤) «إنَّه قيامُه عن يمين العَرْش مقاماً

---

(١) جُثىً: بضم الجيم مقصور منون وجوز كسر جيمه ايضا، ج جثوه: مثلث الأول وأصلُه الكوم المجتمع من ترابٍ ونحوه فاستُعير لمعني الجماعةِ أي يجتمعُون جماعاتٍ كُلُّ أمَّةٍ جماعةٌ تابعةٌ لِنبيِّها.

(٢) رواه أحمد والبيهقيُّ.

(٣) رواه أحمد بنُ حَنْبَل مُسْنداً.

(٤) رواه أحمدوغيره

لا يقومُه غيُره يغبِطه(١) فيه الأوَّلُون والآخِرُون».

ونحوه عن كعب والحسـن.

وفى روايةٍ «هو المقامُ الَّذى اشْفعُ لأمَّتى فيه».

وعن ابن مسعُود قالَ: قالَ رسولُ الله ﴿ﷺ﴾(٢) «إنّي لقَائِمٌ ا المَحْمُـود.. قيل.. ومـا هُو؟ قال: ذَلِكَ يومَ يَنْزِلُ الله تَبلرَكَ وتَ عَلَى(٣) كُرْسِيِّهِ.. الحديث».

إختَرت الشفاعة لأنها اعم

وعن أبي مُوسَى رضى الله عنه: عنه ﴿ﷺ﴾(٤): «خُـيِّرتُ بَيْنَ أن يَدْخُـل نِصْفُ أُمَّتي الجنَّـة وبَـيْنَ الشَّفَـاعَةِ فاخْ الشَّفاعَة لأنَّهَا أعمُّ أتُرونَها للمُتَّقين؟ ولكنَّها للمُذْنِبين الخَطَّائينَ».

وعن(٥) أبي هريرة رضى الله عنه قال: «قُلتُ يا رسُولَ الله.. وَرَدَ عَلَيْكَ في الشَّفاعَةَ فقال: شَفَاعَتي لِمَنْ شَهِد أن لا إله إلَّا الله مُخْ يُصدِّقُ لسانه قلبه».

---

(١) يغبطه: من الغبطة بالغين المعجمة والموحدة والطاء المهملة: هي تمنّي المرء أن ينالَ مثل عندَ غيرِه من النِّعم، وكُلِّ امرٍ محمودٍ من غير أن يُحِبَّ زوالها، فإن أحبَّ زوالَها فهو الحسدُ ا ويغبِط بِزنة يضرب.

(٢) رواه أحمدُ فى مُسْندِهِ.

(٣) وفى نسخةٍ عَنْ كرْسِيِّهِ.

(٤) رواهُ ابنُ مَاجَه في الزهد.

(٥) في حديث صحيح ـ رواه الحاكم والبيهقي.

وعن أُمِّ حَبِيْبَةَ قالت: قال رسُول الله ﴿ﷺ﴾(١): «أُرِيتُ ما تَلْقَى أُمَّتِي من بعدي.. وسَفْكَ بعضِهم دِماء بعْضٍ.. وسبق لهم من الله ما سبق للأُمَمِ قَبْلَهُم.. فسألتُ الله أنْ يُؤْتِيَنِي شَفَاعةً يوم القِيامَةِ فيهم.. فَفَعَلَ».

وقال(٢) حُذَيْفَةُ: يجمعُ الله النَّاسَ في صَعِيدٍ(٣) واحِدٍ حيث يُسمِعُهُم الدَّاعِي ويَنْفُذُهُم(٤) البَصَرُ. حُفَاةً(٥) عُرَاةً(٦) كما خُلِقُوا، سُكوتاً لا تكلَّمُ نَفْسٌ إلَّا بإذنِهِ فَيُنَادى محمدٌ.. فيقول: لَبَّيْكَ(٧) وسَعْدَيكَ والخيرُ في يَدَيْك، والشَرُّ ليس إلَيْكَ، والمُهْتدي مَنْ

---

(١) رواه الحاكم والبيهقي فى الشعب.

(٢) كما رواه البيهقيُّ والنَّسائيُّ. وهو وإنْ كانَ موقُوفاً فهو مرفوعٌ حُكْمًا.

(٣) صعيد: الأصل في الصعيد التُرابُ فاريد به هنا أرضُ المَحْشَرِ وقيل: هو تربةٌ ليس فيها رَملٌ ولا شَجرٌ يوم تُبْدل الأرضُ غيْرَ الأرْضِ.

(٤) ينفذهم البصر: بفتح الياء المثناة التحتية وضم الفاء ورُوي بضمِّ الياء المثناة التحتيَّة وكسر الفاء والمراد بصر الرائي أي يراهم دفعةً واحدةً وليس المرادُ بصر الله.

(٥) حفاةً: منصوبة على الحاليَّةِ وهي جمع حافٍ وهو الَّذي لا نعل له وقيل: جمع حفِيٍّ وهو الَّذي رقَّ جلدُ قدميه.

(٦) عراة: منصوبة على الحاليَّة وهي جمع عارٍ وقيل جمع عُريان وهو قليل في الاستعمال وهو الذى لا ثوبَ لهُ ولا لباسَ يَسْتُرهُ.

(٧) لبّيك وسَعْديك: منصوبان على المصدريَّة بفعل لا يظهر في الاستعمال من التلبية وهي إجابة المنادي من ألب بالمكان أي أقام ولا يستعملان إلا بصيغة التثنية والمراد بها مجرد التكرير ولو مراراً عديدة. أى أجبتك إجابةً بعد إجابةٍ.

هَديْتَ، وعبدُك بَيْنَ يَدَيك ولَكَ وإليكَ، ولا مَلْجأ ولا مَنْجَا مِنْكَ إلاَّ إليكَ . . تَباركْتَ وتَعَالَيْتَ . . سُبْحانَكَ رَبَّ البَيْتِ».

قال: فَذَلِكَ المقامُ المَحْمُودُ الَّذي ذَكَره الله.

ونحوُه (١) عن ابنِ مَسْعُودٍ أيضاً، ومُجَاهِدٍ، وذَكَرهُ عَليُّ بن الحسين عن النبي ﴿ﷺ﴾ (٢).

وقال جابر (٣) بن عبدالله ليزيد الفقير: «أسمعت بمقام محمدٍ؟».

- يعني الذي يبعثه الله فيه -

قال: قلت. . نعم . . قال: فإنَّه مَقامُ مُحَمَّدٍ المَحْمُودِ الَّذي يُخرِج الله بِهِ مَنْ يُخرِج - يعني من النَّارِ - وذكر حديثَ الشَّفاعَةِ في إخراج الجَهَنَّميِّين.

وعن أنسٍ نَحْوُهُ(٤) وقال: فهذا المقامُ المَحْمُودُ الَّذي وعَدَهُ.

وفي رواية أنَسٍ وأبي هُريرة وغيرِهما - دَخلَ حديثُ بعضِهم في

---

(١) رواه احمد والطيالسيُّ.

(٢) اي مُرْسلاً ورواهُ الحاكِمُ عن اهْلِ العِلمِ عنه مَوصولاً

(٣) رواه مسلم.

(٤) رواه الشَّيخان وفي حديث رواه احمد في مُسنده.

حديث بعضٍ (١) ـ قال ﴿ﷺ﴾(٢): «يَجْمَعُ الله الأوَّلين والآخِرينَ يومَ القِيامَةِ فَيَهْتَمُّون ـ أو قال فيُلْهَمُونَ ـ فيقولون لو اسْتَشْفعنَا إلى رَبِّنا».

ومن طريقٍ آخرَ عنه: «ماج (٣) النَّاسُ بعضُهم في بَعْضٍ».

وعن (٤) أبي هُرَيرةَ: «وتَدْنُو الشَّمْسُ فيبلغُ النَّاسُ من الغَمِّ مالا يُطِيقُون ولا يَحْتَمِلُون، فيقولون: ألا تَنْظُرُون من يَشْفَعُ لكم!! فيأتُونَ آدمَ، فيقولُونَ ـ زادَ بعضُهم أنت آدمُ أبو البشر، خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأسْكنك جَنَّته، وأسْجد لَكَ مَلاَئِكتهُ، وعلَّمكَ أسماء كلِّ شيءٍ ـ اشفع لناعِنْدَ رَبِّك حتَّى يُرِيحنا مِن مكانِنا.. ألا تَرَى ما نَحنُ فِيه!!!

فيقــول: إنَّ رَبِّي غَضِبَ اليومَ غَضَبــاً لَمْ يَغْضبْ قَبْلَهُ مِثْلَه، ولا يَغْضَبُ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، ونهاني عن الشَّجرةِ فَعَصيْتُ.. نفسي.. نفسي.. اذهبُوا إلى غيرى.. اذهبُوا إلى نوحٍ.. فيأتُون نُوحاً، فيَقُولُون: أنتَ أوَّلُ الرُّسُلِ إلى أهْلِ الأرضِ وسمَّاكَ الله عَبْدَاً شكُوراً ألا ترى

---

(١) أي اتَّفق الحديثان لفظاً ومَعنىً.

(٢) رواه الشَّيخان.

(٣) ماج: أي دخل بعضُهم في بعضٍ واختلطُوا لاضطرابهم.

(٤) رواه الشَّيخان.

ما نَحنُ فِيـه !! ألاَ تَرَى ما بلغنا. . ألا تشفع لنا إلى ربِّكَ؟ فيقوا
إنَّ رَبِّي غَضِبَ اليومَ غَضَبــاً لم يَغْضَبْ قبلَهُ مِثلهُ ولا يَغْضَبُ بَعْ
مِثلهُ. . نفسي. . نفسي. . قالَ في روايةِ أنسٍ : ويَذْكُر خطيئتَهُ ا
أصابَ، سُؤالَه ربَّهُ بغيْرِ عِلْمٍ. (١)

وفي رواية أبي هُريرة رضي الله عنه: وقدْ كانَتْ لي دَعْوةٌ دَعَوْتُها
قومي. . اذهبُوا إلي غيري. . اذهبُوا إلى إبراهيم فإنَّه خليلُ الله فيأ
إبراهيم فيقولون: أنْتَ نبيُّ الله وخليلُه من أهل الأرْضِ. . اشْفَعْ
إلى ربِّك. . ألا ترى ما نحنُ فيه؟! فيقول: إنَّ ربِّي قد غضب ال
غَضَباً. . فذكر مثله. . ويذكر ثلاث كلمات كَذَبَهُنَّ (٢)- نفسي نف
لستُ لها ولكن عليكم بموسى فإنَّه كليمُ الله.

اذهبوا إلى ابراهيم

عليكم بموسى

---

[١] وهو قوله: ربِّ ان ابني من أهلي وقد وعدتني ووعدك الحق أن تنجي أهلي من الغرق وهو
فنجه. فقيل له انه ليس من أهلك الذين آمنوا وعملوا الصالحات وانه عمل غير صالح فلا تـ
ما ليس لك به علم.

[٢] هذه الكلمات هي: (١) قوله إني سقيمٌ لما دُعيَ الى الأصنام.
(٢) قولُه لزوجته لما طلبها الملكُ منه إنها أختي.
(٣) وقوله في حق الأصنام «فَعلَهُ كبيرُهُم هذا».

وهذا كُلُّه مخالفٌ للواقع ولا عتقادِه إلاَّ أنَّ إبراهيم عَلَيه وعلى نبيِّنا أفضلُ الصَّلاةِ والسَّلا
يقصِدْ به حَقيقته، وإنَّما قالهُ لضَرْبٍ من التَّأويل قَصَدَهُ فليسَ يكْذبُ وإنَّما سمَّاه كَذِباً نَظراً لما
منه للمُخَاطب، وخافَ أنْ يؤاخذ به لِعُلوِّ مَرْتَبَتِهِ وعَظمةِ الرُّبُوبيةِ عِنده، وأنَّ مقامه يقْتَضى ا
يُداري مَخلُوقاً أو يخافهُ، وإلاَّ فهو ﴿ﷺ﴾ كسائر الأنبياء معصومٌ من الكذب وغيره.

وفى روايةٍ: فإنَّـه عبدٌ آتاهُ الله التوراةَ وكلَّمةُ وَقَرَّبَهُ نَجيًا ، فيأتُون
وسى. فيقولُ: لستُ لها ـ ويذكُرُ خطيئتَه(١) الَّتى أصابَ، وقتْلَهُ(٢)
ـنَفس. . نفسي. . نفسي. . ولكن عليكُم بعيسى فإنَّـه روحُ الله
كَلِمَتُه. . فيأْتُون عيسى فيقولُ : لستُ لَها ولكنِ عليكُمْ بمُحَمَّدٍ.
بدٌ غَفَرَ الله لهُ ما تقدَّمَ من ذنْبهِ وما تأَخَّرَ.

عليكم بعيسى

عليكم بمحمد

فأوتى فأقولُ: أنَا لها. . فأنْطلِقُ فأَسْتأْذنُ علَى رَبيِّ فَيُؤذنُ لي. . فإذا
رأيتُه وقَعْتُ ساجداً.

أنا لها

وفي روايةٍ: فآتي تَحتَ العَرْش فأخِرُّ ساجِداً.

وفي روايةٍ: فأقومُ بين يديه فأَحمدُهُ بمحامد لا أَقدِرُ عَلَيها إلاَّ أنَّه
يلْهِمنيها الله.

وفى روايةٍ: فيفتحُ الله عَلَيَّ مِنْ محامِدِهِ وحُسْنِ الثَّناء عليه شَيْئاً لم
يفْتَحْهُ على أحدٍ قبلي.

قال فى رواية أبي هريرة: «فيقالُ: يا محمَّدُ . ارفع رأْسكَ. سَلْ

---

(١) الخطيئةُ الَّتي وقَعَتْ منه وعاتَبَهُ الله عليها بقوله : «مَا أعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يا مُوسىٰ» كما هو مبيَّنٌ في التَّفْسير.

(٢) وهو القبطيُّ الَّذي استغاثهُ الاسرائيلـيُّ عليه فوَكزهُ موسى فماتَ ولم يَكُنْ عَامِداً لِقتْلِه وإنَّما هو لدفع الصَّائِل ومثلُه جائزٌ ولكنَّه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ خَشي المؤاخذة بِهِ ولذا استغْفرَ منه وعَدَّهُ من فعل الشَّيطان فلا ينافي هذا عِصْمتهُ عليه الصَّلاةِ والسَّلامُ.

عطه واشفَعْ تُشَفَّعَ . فأرفعُ رأسي فأقولُ . يارَبِّ . أُمَّتِيْ . . يارَبِّ . .
مَّتِيْ. فيقول: أُدخل مِنْ أُمَّتِك من لا حِسابَ عليه من البابِ الأيمنِ اشفع تُ
ن أبوابِ الجَنَّةِ . . وهُمْ شركاء النَّاسِ فيما سوى ذلك من الأبواب».
ولم يذكر في روايةِ أنسٍ هَذَا الفَصْل وقال مكانَه. ثُمَّ أخِرُّ ساجِداً . .
فيقال لي : يا مُحَمَّدُ . . ارفع رأسك . . وقُلْ يُسْمَعْ لَك، واشْفَعْ
تُشَفَّع ، وسَلْ تُعْطَه(١) . . فأقولُ : يارَبِّ . . أُمَّتي . . فيقال :
انْطلِقْ. فَمنْ كانَ في قلبه مُثقالُ حَبَّةٍ من بُرَّةٍ(٢) أو شعِيرةٍ من إيمانٍ
فأخْرجْه، فأنْطَلِقُ فأفعلُ، ثُمَّ أرْجِعُ إلي رَبِّى فأحمدُهُ بتلكِ المحَامِدِ
وذكَرَ مِثْلَ الأوَّلِ وقال فيه(٣) ـ مثقال حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ(٤) ـ قال:
فأفْعَلُ، ثُمَّ أرْجِعُ ـ وذَكَرَ مِثْلَ ما تَقَدَّمَ، وقال فيه منْ كان في قلبه أدنى
أدنى أدنى من مثقالِ حَبَّةٍ من خَرْدلٍ ـ فأفعَل وذَكرَ في المرَّةِ الرَّابِعةِ(٥)
فيقال لي: ارفع رأسك وقل يُسْمَعْ واشْفَعْ تُشَفَّعْ وسَلْ تُعْطه . . فأقول
: يارَبِّ ائذنْ لي فيمَنْ قال : لا إله إلاَّ الله . . قال: ليس ذلك إليك،

---

(١) تُعطه : الضَّمير لما سَأَلَ أو هُو هاء سَكْتٍ للوَقْفِ.
(٢) بُرَّة : واحدة البُرّ.
(٣) في الحديث من روايةِ مُسلمٍ كما ذَكرَها النَّوويُّ.
(٤) الخَرْدَلُ : وهو حَبٌّ معروفٌ في غاية الصِّغرِ.
(٥) من رواية البخاريّ.

ولكن وعِزّتي وكِبريائي وعَظمتِي وجبريائى(١) لأخرِجَنَّ من النَّارِ من قال لا إلهَ إلَّا الله .

وذكر(٢) في رواية أبي مالكٍ عن حُذَيْفةَ: فيأتون مُحَمَّداً فَيَشْفعُ فيُضرْبُ الصِّراطُ فيمرُّون. . أوَّلُهم كالبَرْقِ، ثُمَّ كالرِّيح والطَّير وشدِّ الرِّجال(٣)، ونَبيُّكُم ﴿ﷺ﴾ على الصِّراطِ. . يقولُ اللَّهُمَّ سَلِّم سَلِّم حَتَّى يَجْتازَ النَّاسُ ـ وذَكَر آخِرهُم جَوازاً . . الحديث.

وفى رواية أبي هُريرةَ: فأَكونُ أوَّلَ من يُجيزُ(٤).

وعن ابن عبَّاسٍ عَنْهُ ﴿ﷺ﴾(٥): يُوْضَعُ للأنْبياء منابرُ يَجْلِسُونَ عليها، ويبْقَى مِنْبري لا أجْلِسُ عليه. . قَائِمًا بين يَدَى رَبِّى مُنْتَصِباً فيقُولُ الله تباركَ وتَعَالى. . ما تريدُ أنْ أصْنَعَ بأُمَّتِك؟ فأقول: يا ربِّ عَجِّلْ حِسَابَهُمْ. . فيُدْعَىٰ بهم فَيُحاسَبُونَ. . فَمِنْهُم مَنْ يَدْخُلُ الجَنَّةَ بِرَحْمَتِهِ ومنْهُمُ مَنْ يَدْخُلُ بِشَفَاعَتي ولا أَزالُ أَشْفعُ حَتَّى أُعطى

---

(١) جِبْريائي: بالمدِّ مضافٌ لياء المُتَكَلِّم وجيمُه مكسورةٌ وجُوِّزَ فتحُها وباؤه ساكِنَةٌ وهو والجبرو بفتح الباء وسكونها بمعنى واحد وتاؤه للمبالغة كالملكوت.

(٢) كما أخرجهُ أبوداود في البعث.

(٣) شدّ الرجال: الشد: سرعة الجرى والرجال جمع رجل ضد المرأة.

(٤) هذا مما رواه الشيخان.

(٥) كما رواه الحاكم والبيهقي.

صِكَاكاً(١) برجالٍ قَدْ أُمِرَ بهم إلى النَّارِ. حَتَّى إنَّ خازِن النَّارِ لَيَقُولُ: يا مُحَمَّدُ ما تركتَ لِغضَبِ رَبِّك في أُمَّتِكَ مِن نِقْمَةٍ..

فقـد اجْتَمَـعَ من اختلافِ أَلْفاظِ هَذِهِ الآثارِ أَنَّ شَفاعَتَهُ ﴿ﷺ﴾ ومقامَهُ المحمُودَ مِن أوَّلِ الشَّفاعَاتِ إلى آخِرِهَا، من حين يَجْتمِعُ النَّاسُ للمَحشْرِ، وتَضيقُ بِهِمْ الحَناجِرُ، ويبلُغُ مِنْهُمُ العَرَقُ والشَّمسُ والوُقُوفُ مَبْلَغَـهُ، وذَلِـكَ قَبْـلَ الحِسَـاب، فيَشفـعُ حِينئذٍ لإراحةِ النَّاسِ مِن المَوْقفِ، ثُمَّ يُوْضَعُ الصِّراطُ ويُحَاسَبُ النَّاسُ ـ كما جَاء في الحَدِيثِ عَنْ أبي هُرَيرْةَ وحُذَيْفَةَ، وهذا الحديثُ أَتْقَنُ(٢).

ـ فَيَشْفعُ في تَعْجيل مَنْ لاَ حِسابَ عَلَيْهِ مِنْ أُمَّتِه إلى الجَنَّةِ ـ تَقَدمَ في الحَديث.

ثُمَّ يَشْفَـعُ فِيمَنْ وجَبَ عَلَيهِ العَـذَابُ ودَخلَ النَّارَ مِنْهُمْ ـ حَسْبَما تَقْتَضِيهِ الأَحاديثُ الصَّحِيحَةُ ـ ثُمَّ فيمن قال: لا إلَهَ إلَّا الله ـ ولَيس هَذَا لِسـوَاهُ ﴿ﷺ﴾. وفي الحديث المُنْتَشِرِ الصَّحيح(٣): لِكُلِّ نَبيٍّ

(١) صِكاكا: بالصاد المهملة وكاف جمع صك كصُكُوك، وهو الورقَةُ الَّتى تُكْتَبُ للمصالح وهو مُعَرَّبُ جك بالجيم المعجمة.

(٢) أي أكثر إتقاناً من غيره.

(٣) الوارد في الصَّحيحين.

ةً يَدْعُو بها، وَاخْتَبْأْتُ دَعْوَتي شَفَاعَةً لأُمَّتي يَوْمَ القِيامَةِ».

اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي

قال أَهْلُ العِلْم: مَعْنَاهُ دَعْوةٌ أُعلم(١) أنها تُسْتَجابُ لَهُمْ ويَبْلغ فيها
ـوبهم، وإلَّا فكم لكـل نبيٍّ منهم من دعـوةٍ مستجـابةٍ، ولِنَبِيِّنَا
ﷺ منهـا مالا يُعَـدُّ، لَكِنَّ حالَهُم عِنْـد الـدُّعَـاء بها بَيْنَ الـرَّجَاء
الخوْفِ. وضُمِنَتْ لهم إجابَةُ دَعْوةٍ فيما شاؤوهُ يَدْعُون بها على يقينٍ من
جابَةِ.



(١) أُعْلِمَ: بِضَمِّ الهَمْزَةِ وكَسْرِ اللامِ مَبنيٌّ للمَجهُولِ أيَ أَعْلَمهُ الله.

الفصل الثامن

الوَسِيلَةُ والدَّرجَةُ الرَّفِيعَةُ والكَوْثَرُ والفَضِيلَةُ

في تفضيله ﴿ﷺ﴾ في الجنَّة بالوَسِيلَةِ والدَّرَجَةِ الرَّفيعَةِ والكَوْثَرِ.

عـنْ عَبْيد الله بن عمـرو بن العاص ، أنَّه سَمِعَ النَّبيَّ ﴿ﷺ

وسيلة يقَولُ: (١) «إذا سَمِعْتُم المُؤذِّنَ فقولُوا مثلَ ما يقُولُ ثُمَّ صَلُّوا عليَّ فإ

من صَلَّى عَلَيَّ مَرَّةً صَلَّى الله عَلَيْهِ عَشْراً. . ثُمَّ سَلُوا الله لي الوَسيلَة فإ

مَنْزلةٌ في الجنَّةِ لا تَنْبَغي إلاّ لِعَبْدٍ مِنْ عِبادِ الله . . وأَرْجُو أن أكُونَ أنا هُ

فَمَنْ سأل الله لي الوسيلَةَ حَلَّت عليه الشَّفَاعَةُ».

---

(١) رواه مسلمٌ وأبوداود والتِّرمِذيُّ والنَّسائيُّ.

وفي حديثٍ(١) آخرَ عن أبي هريرةَ «الوسيلةُ(٢)» أعْلَى درجةٍ في
نةِ.

وعن أنس قالَ: قال رسولُ الله ﴿ﷺ﴾(٣) «بيْنَا أنَا أسيرِ في الجنَّةِ
عَرَضَ لي نَهْرٌ حافَتَاهُ(٤) قِبابُ(٥) اللُّؤلُؤ.. قُلْتُ لجبرَيل: ما
ذا؟ ؟ قال: هَذَا الكوثرُ الَّذي أعْطاكَهُ الله.. قال: ثُمَّ ضَرَب(٦) الكو
بده إلى طِينتِهِ فاسْتَخْرَجَ مِسْكاً». صفا

وعن عائشة وعبدالله بن عمرو مثلُه قال: «ومجْراهُ على الدُّرِّ
الياقُوتِ وماؤُهُ أحْلَىَ من العَسَلِ، وأبيضُ من الثَّلْج».

---

(١) رواه الترمذيُّ.

(٢) الوسيلة: اصْلُ الوسيلة أمرٌ يكونُ موصولاً لأمرٍ تَبْتغيه كالهديَّةِ والتَّودُّدِ ونحوه يقولُ تَعَالى : «وابْتَغُوا إليْهِ الوَسيلةَ» سُورة المائدة آية (٢٥) وحَقيقةُ الوَسيلةِ إلى الله تَعَالى مُرَاعَاةُ سبيلها بالعِلْمِ والعِبادَةِ وتحرى مكارم الشريعة وهي كالقُرْبَةِ. والُمرادُ بها مَنزلةٌ عالية في الجَنَّةِ فهو مجازٌ من باب إطلاقِ السَّببِ على المُسَبَّبِ، وقال ابن كَثير: «الوَسِيلةُ أقْربُ مَنازِلِ الجَنَّةِ إلى العَرْشِ وأعلاها وأشرفُها».

(٣) رواه الشَّيخان.

(٤) حافَتَاه: بتخفيف الفاء المفْتوحة أي جانباه وشَطَّاهُ.

(٥) القباب: جمع قُبَة وهي القُبَّة المعروفةُ أو هي: بيتٌ صغيرٌ تبنيه العربُ لتَنْزِلَ فيه.

(٦) ضَرَبَ يَدهُ: مجاز عن إدخالها فيه.

وفي روايةٍ عَنْهُ «فإذا هُوَ يَجْرِي ولم يَشُقَّ(١) شَقًّا، عَلَيْهِ حوضٌ تَرِدُ عليه أُمَّتِي» وذكر حديث الحَوْضِ.

ونحـوُهُ عن ابـن عـبَّاسٍ (٢)



(١) أي لا يَشُقُّ الأرض بشدَّةِ جريهِ وكذا سائرُ أنهارِ الجَنَّة تَجري من غير أنْ تَتَّخذَ أُخْدُوداً ويَشُقُّ مبني للفـاعــل.

(٢) رواه البخاريُّ.

الفصل التاسع

في أسـمائه صلَّى الله عليه وسلَّم
ومـا تَضَمَّنتهُ مِن فَضِيلة ﷺ

عن مُحمـد بن جُبَـيْر بنِ مُطْعِم عَنْ أَبيهِ قالَ: قالَ رسُـولُ الله ﴿ﷺ﴾(١) «لي خمسةُ أسماء، أنا مُحَمَّدٌ، وأنا أحمدُ، وأنا المَاحي الَّذي يَمْحُو الله بي الكُفْرَ، وأنا الحَاشِرُ الَّذي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى قَدميَّ، وأنا العـاقِبُ(٢). وقـد سمَّاه الله تعـالى في كتـابـهِ: مُحَمَّداً وأحمدَ. فمِن

---

(١) رواه البخاريُّ ومسلمٌ وأبوداود والنسائي ومالكٌ.

(٢) العاقب: أي الآتي عقب الأنبياء عليهم الصَّلاة والسَّلام فلا نبيَّ بعده وعيسى عليه الصَّلاة والسَّلامُ تقدَّم أنَّه على شريعته.

تسمية خصائِصِه تعالى له: أن ضمَّنَ أسماءه ثَناءهُ فطوى أثْنَاء ذِكْرِه عَظِ
ـ
كتاب شُكرِه..

أحمد فأمَّا اسْمهُ « أحمد » فأفْعَلُ مبالغة من صِفةِ الحَمْدِ.

محمد و« مُحمَّد » مُفعَّلُ مبالغة من كَثْرةِ الحَمْدِ.

فهو ﴿ﷺ﴾ أجلُّ من حَمِدَ وأفْضَلُ من حُمِدَ، وأكثرُ النَّاس حَمْداً فه
أحمَدُ المحمودين وأحمدُ الحامِدين، ومعهُ لواءُ الحَمْدِ يومَ القِيامَةِ، لِيَتِمَّ
كمالُ الحَمْدِ، ويَشْتَهِرُ في تلك العَرَصَات(١) بِصفةِ الحمدِ، ويبْعَثُهُ ر
هُنَاكَ مَقاماً محْمُوداً كما وعَدهُ.

يَحْمَدُه فيه الأوَّلُون والآخِرُون بِشَفَاعتِهِ لَهُمْ، ويُفتحُ عَليه فِيه م
المَحامِدِ، كما قالَ﴿ﷺ﴾ «ما لم يُعْطَ غَيْرُهُ» وسمَّى الله أُمَّته في كُتُ
نى أنْبيائه بالحمَّادين، فَحَقيقٌ أنْ يُسَمَّى مُحمَّداً وأحمَدَ.

سم
احى وأمَّا قولُه ﴿ﷺ﴾ «وأنَا المَاحي الَّذى يَمْحُو الله بِيِ الكُفْرَ» ففُسِّرَ ا
الحديث...

(١) العَرَصات: بسكون الراء ويجوز فتحها جمع عرصة بسكون الراء وهي كُلُّ موضعٍ واسـ
وعَرْصَةُ الدَّار ساحتُها وهي البُقعة الواسعةُ التي ليس فيها نباتٌ وتجمعُ على عِراص والمراد هنا أرض
الموقف والمَحْشر.

ويكونُ مَحْوُ الكُفْر إمَّا مِن مكَّةَ وبلادِ العَرَبِ وما زُوِيَ(١) لهُ من
رْض ووُعِدَ أنَّه يَبْلُغُهُ مُلْكُ أُمَّتِه أو يكونُ المَحْو عَامَّاً بمعنى الظُّهورِ
لغَلَبةِ.

كما قال تعالى: «لِيُظْهِرهُ على الدِّين كُلِّه». (٢)

وقد وَرَدَ تفسيرهُ في الحَديثِ(٣): «أنَّه الَّذي مُحِيَتْ به سَيِّئاتُ من
بِعَـهُ» وقوله: «وأنا الحَاشِرُ الَّذي يُحْشَرُ النَّاسُ على قَدَميَّ» أيْ عَلَى
اني وعَهْدِي.. أيْ لَيْسَ بَعْدِي نَبِيٌّ كما قالَ: «وخَاتَم النَبِيينَ»(٤)

معنى ا
الحاشر

وسُمِّي «عَـاقِبـاً» لأنَـهُ عَقبَ غيْره من الأنْبياء وفي الصَّحيح «أنـا
عاقبُ الَّذي ليس بعدي نَبِيٌّ» وقيل: معنى «على قَدَميَّ» أي يُحْشَرُ
اسُ بِمُشَاهَدَتي...

معنى ا
العاقب

كما قال تعالى: «لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ويكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ
هيداً»(٥). «وقيلَ علي قدميَّ» على سابِقتي..

---

١) زوي: بضم الزّاي المعجمة وكسر الواو من الزوي الجمع.

٢) التـوبـة آيـة «٣٣»

٣) على ما رواه البيهقيُّ وأبو نُعيم في الدَّلائل عن ابن حَيْدر.

٤) الأحـزاب آية «٤٠».

٥) سُورةُ البقرة آية «١٤٣».

قال الله تعالى: «أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ» (١)

وقيل: «على قدميَّ» أي قُدَّامي وحَوْلي.. أيْ يَجْتَمِعُون إلى يَوْمِ [ال]قيامَةِ. وقيل: «قدميَّ» على سُنَّتي.

ومعنى قولـه: «لي خَمْسَــةُ أسْـماء» قيل إنَّها مَوْجُـودةٌ في الكُتبِ [الم]تَقَدِّمَةِ، وعِندَ أُولي العِلْمِ من الأُمَمِ السَّالِفةِ.

وفي حديث أبي موسى الأشْعريِّ أنَّه كان ﴿ﷺ﴾(٢) يُسَمِّي لَنَا [نف]سَهُ فيقولُ: أَنَا مُحَمَّدُ، وأَحْمَدُ، والمقفِّي، والحاشِر، ونبيُّ التَّوْبَةِ(٣)، [ون]بيُّ المَلْحَمَةِ ونَبيُّ الرَّحْمَةِ. ويُرْوَى: المَرْحَمَةِ والرَّاحَةِ، وكُلُّ صَحيحٌ إن [ش]اء الله ومَعْنَى «المُقَفِّى» معْنَى «العَاقِب» وأما نبيُّ «الرَّحْمَةِ» «والتَّوبَةِ» و «المرحَمةِ» و «الرَّاحَةِ». فقدْ قال تعالى: «ومَا أَرْسَلْنَاكَ إلاَّ رَحْمَةً [ل]لعالَمِينَ» (٤)

الأسـ
الخمـ

معنو
المُقفِي

---

(١) سـورةُ يُونسُ آية «٢».

(٢) كمـا رواه مُسْلِمٌ.

(٣) أي إنَّ توبةَ أُمَّتِه مقبولةٌ من غير حرج عليهم حتَّى تطْلُع الشَّمْسُ من مَغْربِها أو يُغَرْغِرَ العَبْدُ [و]كانت الأُمَمُ السَّالِفَةُ منهم مَنْ لا تُقبلُ توبتهُ أصلاً ومنهم من تُقبَلُ تَوبتُه بشَرطِ أمورٍ شَاقَّةٍ كما لم [تُق]بَلْ توبةُ بنى إسرائيلَ من عبادَةِ العِجْل إلاَّ بقتْلِ أنْفُسِهم. أمَّا هذِهِ الأُمَّةُ فَتُقْبَلُ منهم مُطْلقاً وإن [ت]كرَّرتْ مَعَ تَكرُّرِ الذُّنُوبِ بِشرطِ النَّدمِ والعَزْمِ عَلَى عدم العَوْدَةِ وردُّ حُقُوقِ العِبادِ واسْتِحْلا لهم.

(٤) سورة الأنبياء آية (١٠٧).

وكما وَصَفهُ بأنَّه «يُزكِّيهم ويُعَلِّمُهُمُ الكِتابَ والحِكْمةِ»(١).

«ويَهْدِيهم إلى صِراطٍ مُسْتَقيم»(٢) و«بالْمُؤمنِينَ رؤوفٌ رَحِيمٌ»(٣).

فَبَعَثَهُ ﴿ﷺ﴾ ربُّهُ تعالى رَحْمَةً لِلعالَمِين، ورَحِيمًا بِهِم، ومُتَرَحِّماً، ومُسْتَغْفِراً لهم، وجَعَلَ أُمَّتَهُ أمَّةً مَرْحُومةً، ووصَفَها بالرَّحْمةِ وأمَرَها ﴿ﷺ﴾ بالتراحُمِ وأثْنَى عليه فقالَ: (٤) «إنَّ الله يُحِبُّ مِن عبادِه الرُّحماء» وقال: (٥) الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمْ الرَّحمنُ» «ارحمُوا مَنْ في الأرْضِ يَرْحمكُم من في السَّماء».

وأمَّا رِوايةُ «نبيُّ المَلْحَمَةِ»(٦) فإشارةٌ إلى ما بُعِثَ به من القِتالِ والسَّيْفِ ﴿ﷺ﴾.. وهي صحيحة..

وروى حذيفة(٧) مِثل حديث أبي موسى وفيه: ونبي الرحمةِ ونبيُّ

---

(١) سورة الجمعة آية «٢».

(٢) سورة المائدة آية «١٦»

(٣) سورة التوبة آية «١٢٨»

(٤) رواه الشَّيخان عن أسامة بن زيد إلاَّ أنَّهُ بلفظ (يَرْحَمُ) بدَل يُحِبُّ.

(٥) رواه أبوداود والتِّرمذيُّ.

(٦) على ما أخرجه ابنُ سَعْدٍ عن مُجاهِدٍ.

(٧) رواه أحمدُ والترمذيُّ في الشَّمائل.

لتوبةِ ونبيُّ الملاحِم وقد جاءت من ألقابه ﴿ﷺ﴾ وسِماتِه في القُرآنِ عِدَّةٌ كَثِيرةٌ سِوىٰ ما ذَكرْناهُ كالنُّورِ(١) والسِّراجِ المُنير(٢)، والمُنْذِر،(٣) النَّذِير، والمُبَشِّر، والبَشير، والشَّاهِد والشَّهيد، والحَقِّ المُبين(٤) وخاتَم النَّبيِّين(٥) والرؤوف الرَّحيمِ (٦) والأمِين(٧)، وقَدَم الصِّدق(٨) رحْمةٍ للعالمين(٩) ونِعْمَةِ الله،(١٠)

القابُه وسِماتُ القُرآن

---

(١) قوله تعالى: «قَدْ جاءكم من الله نُورٌ...»

(٢) قوله تعالى: «إنَّا أرْسَلْناكَ شَاهِداً ومُبَشِّراً ونَذِيراً وداعِياً إلى الله بإذنِه وسِراجاً مُنيراً».

(٣) قوله تعالى: «إنَّما أنتَ مُنذِرٌ ولِكُلِّ قَوْمٍ هادٍ...»

(٤) قوله تعالى: «حَتَّى جاءَهُمُ الحَقُّ ورسُولٌ مُبينٌ...»

قوله: «قَدْ جاءكُم الحَقُّ مِن ربِّكُمْ...»

(٥) خاتَم: بكسر التَّاء أسم فاعِل وبفتحِها أسم آلة كطابَع كأنَّهم خَتَمَهُم بنفسه فهو استعارة في الأصل شاع وصار حقيقة قال الله تعالى: «ولكنْ رسُولَ الله وخاتَمَ النَّبيِّين».

(٦) قوله تعالى: «لَقَدْ جاءكُمْ رسُولٌ مِن أنْفُسِكُمْ عَزيزٌ عليه ما عَنِتُّم حَريصٌ عَلَيْكُم بالمُؤمنِينَ رؤوفٌ رحيمٌ».

(٧) قوله تعالى: «إنَّه لَقَوْلُ رسُولٍ كَريمٍ ذِي قُوَّةٍ عِند ذِي العَرْشِ مَكينٍ مُطَاعٍ ثَمَّ أمِينٍ».

(٨) قوله تعالى: «وبَشِّر الَّذينَ آمنُوا أنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدقٍ عِنْد ربِّهم» ورد في البُخاريّ عن زيد بن أسلَم في الآيةِ السَّابقة قال هُو مُحمد ﴿ﷺ﴾.

(٩) قوله تعالى: «ومَا أرْسَلْناكَ إلاَّ رَحْمَةً للعالَمين».

(١٠) عن ابن عبَّاس في تفسير قوله تعالى: «بَدَّلُوا نِعْمَةَ الله كُفْراً» قال هم كُفَّارُ قُرَيْشٍ ونعمةُ الله محمَّدٌ ﴿ﷺ﴾.

والعُـرْوةِ الـوُثْقَى (١) ، والصِّراطِ المُسْتقِيـمِ (٢) .
والنَّجمِ الثَّــاقِبِ (٣) ، والكـريـمِ ، ٤) والنبيِّ الأُمِّي (٥) ، وداعي الله (٦) . . .

في أوْصَافٍ كَثيرةٍ ، وسِماتٍ جَليلةٍ ، وجَرَى منها في كُتُب الله المُتقدَّمَةِ وكُتُبِ أنْبيَائِهِ وأحاديثِ رَسُولِهِ وإطلاقِ الأُمَّةِ جُمْلَةٌ شافِيةٌ كتسمِيته : بالمُصْـطَفَى ، والمُجْتَبىٰ(٧) وأبي القَـاسِمِ ، والحَبيبِ ، ورَسُوْلِ رَبِّ

---

(١) قوله تعالى : «فَقَدْ اسْتَمسكَ بالعُرْوةِ الوُثْقَى» قال ابن دِحْية وأبوعبد الرَّحْمن السُّلميُّ في الآ السَّابقةِ هو مُحمدٌ ﴿ﷺ﴾ . والعُروةُ ما يُتمَسَّكُ به من الحَبْلِ والوُثْقى الوَثِيقَةِ المَتينةِ فيه اسْتِع تمثيليَّةٌ تَصريحِيَّةٌ لأنَّ من اتَّبعـه لا يقعُ في هُوَّةِ الضَّلالِ كما أنَّ من أمْسكَ حَبْلاً مَتِيناً صَعَد حضيضِ المهالِك.

(٢) قوله تعالى : «اهْدِنَا الصِّراطَ المُسْتَقِيم» .

(٣) قوله تعالى : «والنَّجمِ الثَّاقِبِ» الثَّاقبُ : المُضِيء المُتوهِج .

(٤) قوله تعالى : «إنَّهُ لَقولُ رسُولٍ كريمٍ»

(٥) قوله تعالى : «الَّذينَ يَتَّبِعُون الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِيَّ» .

(٦) قوله تعالى : «ودَاعياً إلى الله بإذْنِهِ» .

(٧) اُلمجْتَبَىٰ : في الصِّحاحِ اجْتباه بمعنى اصْطَفاه واخْتارهُ ، وأصلُه كما قاله الراغبُ مِن جَبيْتُ ا فى الحَوْضِ إذا جَمَعْتُهُ لجمعهِ ﴿ﷺ﴾ المكارمَ والصِّفَاتِ الحميدة بفيضٍ إلهيٍّ من غير سَعْي كما ة تعالى : «يَجْتبي إليه منْ يَشاء» .

العَـالَمِين، والشَّفِيع المُشفَّع، والمُتَّقي والمُصْلح، والظَّاهِر، والمهيمن
والصَّـادِق، والمَصْدُوق، والهادي، وسَيِّدِ ولَدِ آدمَ، وسَيِّدِ المُرْسَلِين
وإمام المُتَّقِينَ، وقائِدِ الغُرِّ(١) المُحَجَّلين(٢)، وحَبِيب الله، وخَلِيل
الـرَّحْمنِ، وصـاحب الحـوض المـورود، والشفـاعة والمقام المحمود
وصَـاحِبِ الـوَسِيلةِ، والفَضِيلةِ والدَّرجَةِ الرَّفِيعةِ، وصاحب التَّاج
والمِعْـراجِ واللِّواء، والقضِيب، وراكبِ الـبُراقِ والنَّاقَةِ والنَّجيب(٣)
وصَـاحِبِ الحُجَّـةِ والسُّلْطَانِ، والخَـاتَمِ (٤) والعَـلامَـةِ، والبُرْهَان
وصَاحِبِ الهِرَاوَةِ والنَّعْلَين(٥). . . . .

اسمائه في الكتب المتقدمة

ومن أسـمائِـهِ في الكُتُب : المُتَـوكِّـلُ، والمُختَـارُ، ومقيمُ السُّنة
والمـقَـدَّس(٦) ورُوحُ الـقُـدُس(٧)، وروحُ الحَـقِّ، وهــو مَعْنى

---

(١) الغُرّ: جمع أغرّ وأصْلُ الغُرَّةِ بياضٌ في جَبْهةِ الفرسِ فالمرادُ به مُطْلَقُ بياضِ الوَجْهِ هنا.

(٢) المحجَّلِين: من التَحْجيل وهو بياضٌ في القوائِمِ، وفي الصَّحيحين «إنَّ أمّتي يُدْعَوْنَ يوْمَ القِيامة غُرّاً مُحَجَّلين من آثار الوضـــوء».

(٣) النَّجيب: الجمَلُ.

(٤) الخاتَمُ: أي خاتَمُ النُبُوَّة بين كَتِفيه.

(٥) النَّعلين: أي صاحبُ النعلين وسببُ تسميتِه لما فيه من مخالفةٍ لأهْلِ الجاهِليَّةِ من تنعلهم رجلٍ واحدةٍ.

(٦) المقدَّس: بالتشديد اسم مفعول أي المُفَضَّل على غيره.

(٧) روح القُدُس: بضمتَين أو ضم وسكون. أي الرُّوحُ المقدَّسةُ من النَّقائِصِ.

بارِقْليط(١)» في الإنجيل.
ومعنى صاحب «القَضِيب» أيْ السَّيف وقَدْ يُحْمَلُ على أَنَّه القضيبُ
مْشُوقُ(٢) الَّذي كانَ يُمْسِكُه ﴿ﷺ﴾.
وأمَّا «الهِراوَةُ» الَّتي وُصِفَ بها فهي في اللُّغةِ العَصَا.
وأمَّا «التَّاجُ» فالُمرادُ به العِمَامَة، ولم تَكُنْ حِينئذٍ إلَّا لِلعربِ، والعَمائِمُ
جَانُ العَرَبِ.
وأَوْصَافُهُ وأَلْقَابُهُ وسِمَاتُهُ في الكُتُبِ كَثيرةٌ وفيما ذَكرناهُ مِنها مَقْنَعٌ - إن
اء الله - وكانَتْ كُنْيَتُهُ المَشْهُورةُ أَبا القاسِمِ ورُوي(٣) عَنْ أنسٍ أَنَّه
وُلِدَ له إبراهِيمُ(٤) جاءه جُبْرِيلُ فَقالَ لَهُ: «السَّلامُ عَلَيْكَ يا أَبا
راهيم».

كنيته المشهو

مع ختام الجزء الثالث نلتمس منك أيها القارىء الكريم أن تنعش
بك بذِكر ربك وترطب لسانك بأدعية خالصة، ونداءات ضارعة تمد

---

(١) البارِقليط: بموحَّدةٍ في أوّلِه وألفٍ وراء مكسورَةٍ وقافٍ ساكِنةٍ ثم لام تليها ياء مُثَنَّاةٌ تحتيَّةٌ ساكنةٌ، وطاء مُهمَلةٌ.
(٢) القضيب المَمْشُوقُ: الطويلُ الدقيقُ من المشق. وهو جذب الشيء ليطول وكان له ﴿ﷺ﴾ قضيب يسمى الممشوق ومحجن يستلم به الركن.
(٣) كما في مُسْنَدِ أحمدَ والبيهقيِّ.
(٤) ابن نبينا محمَّدٍ ﴿ﷺ﴾ من ماريةَ القبطيةِ رضي الله عنها تُوُفيَّ وهُو طِفْلٌ صغيـر وذلك في حياتِهِ ﴿ﷺ﴾.

من خلالها يديك إلى من بيده ملكوت السموات والأرض، فعسى أن تشملنا عناية مِولانا سبحانه بنفحةٍ تنزل من خلالها الرحمات، وتحيطنا بسببها البركات نسألك العون والمدد يا أرحم الرَّاحمين.

«اللهُمَّ إنّي أسْـألُـكَ إيماناً لا يرتَدُّ، ونعيمًا لا يَنْفَدُ، وقُرَّةَ عينٍ لا تَنْقطِعُ، ومُرافقَةَ نبيِّك سيِّدنا مُحمَّدٍ ﴿ﷺ﴾ في أعْلى جنانِ الخُلْدِ»(١).

«يا حَيُّ يا قَيُّومُ! برحْمَتِك أسْتَغيثُ، أصْلح لي شأني كُلَّهُ ولا تَكِلْني إلى نَفْسي طرفَةَ عَيْنٍ»(٢).

«حَسْبيَ الله لا إلـهَ إلاّ هُوَ عَلَيْهِ توكّلْتُ وهـوَ ربُّ العَـرْشِ العَظِيم»(٣) (سَبْعُ مرَّاتٍ).

اللهُمَّ إنّي أسْـألُـكَ رحمـةً مِنْ عِنْدِكَ تَهْدي بها قَلْبي، وَتَجْمَعُ بها أمْـري، وتَلُمُّ بها شَعْثي، وتُصْلحُ بها غائبي، وتَـرْفَعُ بها شَاهِدي، وتُزكِّي بها عَمَلي، وتُلْهمني بها رُشْدي، وتَرُدُّ بها أُلْفَتي وتَعْصِمُني بها من

---

(١) رواه ابن أبي شيبة عن أبي عبيدة رضى الله عنه.

(٢) رواه النسائي والحاكم عن أنس رضى الله عنه بلفظ: ما يمعنك إذ تسمعي ما قاله لابنته السيدة فاطمة رضى الله عنها.

(٣) روى ابن السني وابن عساكر عن أبي الدرداء رضى الله عنه أن النبي ﴿ﷺ﴾ قال: من قال كلَّ يومٍ حين يصبحُ وحين يمسي حسبي الله لا إله إلا هُو عليه توكلتُ وهو رب العرش العظيم سبع مرات كفاه الله ما أهمه من أمر الدُّنيا وأمر الآخرة صادقاً كان بها أو كاذباً (كنز).

كلِّ سُوءٍ . اللهُمَّ أَعْطِني إيماناً ويَقيناً ليسَ بعدَهُ كُفْرٌ، ورَحْمَةً أَنالُ بها شرف كرامَتِكَ في الدُّنْيا والآخِرَةِ. اللهُمَّ إني أسأَلُكَ الفَوْزَ في القضاء ونُزُلَ الشُّهَداء ، وعيش السُّعَداء ، والنَّصْرَ على الأعْداء . اللهُمَّ إني أُنْزِلُ بكَ حاجَتي فَإِنْ قَصُرَ رَأْيِي وَضَعُفَ عَمَلي افْتقَرْتُ الى رَحْمَتِكَ، فَأَسْأَلُكَ يا قاضِي الأمُورِ ويَا شافي الصُّدُورِ كما تُجِيْرُ من في البُحورِ أَنْ تُجيرني من عَذابِ السَّعيرِ ومِنْ دَعْوةِ الثُّبُورِ ومِنْ فِتنةِ القُبورِ. اللهُمَّ ما قَصُرَ عَنْهُ رَأْيِي وَلَمْ تَبْلُغْهُ نِيَّتِي ولم تَبْلُغْهُ مَسْأَلتي مِن خَيرٍ وَعَدْتَهُ أحداً مِنْ خلقِكَ أو خَيرٍ أنْتَ مُعْطيهِ أَحداً مِن عِبادِكَ فإني أَرغَبُ إليْكَ فيهِ، وأسأَلُكَ برَحْمَتِكَ يا رَبَّ العالَمينَ. اللهُمَّ يَاذا الحَبْلِ الشَّديدِ والأَمْرِ الرَّشيدِ أَسْأَلُكَ الأَمْنَ يَوْمَ الوَعيدِ والجَنَّةَ يَوْمَ الخُلُودِ مَعَ المقَرَّبينَ الشُّهودِ الرُّكَّعِ السُّجودِ المُوفِينَ بالعُهودِ إنَّكَ رَحيمٌ وَدُودٌ وإنَّك تَفْعَلُ مَا تُريدُ. اللهُمَّ اجْعلنا هادِينَ مُهْتَدينَ غَيْرَ ضالِّين ولا مُضِلِّينَ سِلْمًا لأَوْليائكِ وَعَدُوّاً لأَعْدائكَ نُحِبُّ بحُبِّكَ مَنْ أَحَبَّكَ ونُعَادي بعداوتِكَ مَنْ خالَفَكَ. اللهُمَّ هذا الدُّعاء وعَلَيْكَ الإجابَةُ وهذَا الجُهْدُ وعَلَيك التُّكْلانُ. اللهُمَّ اجْعل لي نُوراً في قلبي، ونوراً في قبري، ونوراً بين يَدَيَّ، ونوراً من خلفي، ونوراً عن يميني، ونوراً عن شمالي، ونوراً من فوقي، ونوراً من تحتي، ونُوراً في سمعي، ونوراً في بصري، ونُوراً في

شَعْري، ونُوراً في بَشَري، ونوراً في لَحْمي، ونوراً في دَمي، ونوراً في عِظامي. اللهُمَّ أعْظِمْ لي نُوراً وأعْطِني نُوراً واجْعَل لي نُوراً. سُبْحان الّـذي تعطَّفَ بالعزِّ وقالَ به، سُبْحانَ الذي لَبسَ المجْدَ وتكرَّم به، سُبْحانَ الّذي لا يَنْبَغي التَّسْبيح إلّا لَهُ سُبْحانَ ذِي الفَضْلِ والنِّعَمِ، سُبْحان ذِي المجْدِ والكَرَمِ سُبْحانَ ذِي الجلالِ والإكرامِ)(١)

اللهُمَّ أكْمِلْ لي ديني وَأَتْمِمْ عَلَيَّ نِعْمتَك واجْعَلْني عبداً شكُوراً عَبْداً كَريمًا.

رَبِّ أَوْزِعْنِيْ أَنْ أَشكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِى أَنْعَمْتَ عَليّ وَعَلىَ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالحَاً تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِيْ بِرَحمْتِكَ فِيْ عِبادِكَ الصَّالِحِيْنَ(٢).

(ربِّ أوْزِعْني أنْ أشْكُرَ نِعْمتَكَ الَّتي أنْعَمتَ عليَّ وَعَلى والدِيَّ وأنْ أعْمَلَ صَالِحاً تَرْضاهُ وأصْلح لي في ذُرِّيَّتى إنّي تُبْتُ إلَيْكَ وإني مِنَ المُسْلِمينَ)(٣).

(ربَّنَا هَبْ لنا مِنْ أزوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِناقُرَّةَ أَعْيُنٍ واجْعَلْنا لِلمُتَّقِينَ إماماً)(٤).

---

(١) رواه الترمذي ومحمد بن نصر والطبراني والبيهقي عن ابن عباس رضى الله عنهما.

(٢) النمل ١٩. (٣) الأحقـــاف ١٥.

(٤) الفرقـان ٧٤.

(رَبِّ اجْعَلْني مُقيمَ الصَّلاةِ ومِنْ ذُريَّتي رَبَّنا وتَقَبَّل دُعاء . ربَّنا اغْفِرْ لي وَلوالِدَيَّ وَللمُؤمِنينَ يومَ يَقُومُ الحسابُ) (١) .

(ربَّنا أتْمِم لنَا نورَنَا واغْفِر لنَا إنَّكَ عَلى كلِّ شيءٍ قَدِيرٌ) (٢).

(ربِّ أنزِلْني مُنْزلاً مُبارَكاً وأنْتَ خَيْرُ المُنْزلينَ) (٣) .

في جوارِ نبيِّكَ سَيِّدِنا محمَّدٍ ﴿ﷺ﴾ في حَظِيرَةِ قُدْسِكَ برحْمَتِكَ يا أرْحَمَ الرَّاحِمينَ .

(الحمدُ لله الَّذي هَدانَا لِهذا وما كُنَّا لِنهتَدِي لَوْلاَ أنْ هدَانا الله)(٤) .

(وسَلاَمٌ عَلَى المرْسَلينَ والحمدُ لله رَبِّ العَالَمينَ) (٥).



---

(١) إبراهيم ٤٠ و ٤١ .

(٢) التحريم ٨

(٣) المؤمنون ٢٩

(٤) الأعراف ٤٣

(٥) الصافات ١٨١ و ١٨٢ .

الفهـــــرس